حسن محسب

الغيبوبة

مكتبة غريب
٣٠١ شارع كامل صدقي (الفجالة)
تليفون ٩٠٢١٠٧

— ١ —

قالت المذيعة الحسناء :

— تحذير هام : إذا كنت تعتقد مثلنا .: أن رقة الإحساس الإنسانى هى خير وسيلة لشفاء البشرية من جروحها ، والتخلى عن أكبر كمية ممكنة من الزيف والخداع .. فهيا بنا نخترق هذه المأساة المفزعة .. فأنا مثلكم أيها السادة .. أريد أن أصل إلى أقرب نقطة نطل منها — سويا — على :. إنسان يفتقد الرفقة .. ويعتقد أن ما يعانيه كانسان وحيد القلب .. يجب أن يتحمله الناس جميعاً و ..؟..

صرخة فزع .. طلقات رصاص .. رائحـــة دم وشياط .. بنزين ينسكب . . ألسنة النيران ترتفع . . زجاج يتحطم . . فرقعة اطار سيارة متهورة .. فرملة زاعقة .. الحريق يلتهم البيت بكل طوابقه .. السكان يقفزون وثيابهم مشتعلة و .....

***

أشعل بهاء يوسف سيجارته .. قام ببطء .. خفض صوت « الفيديو كاسيت » .. ضبط صورة الحريق على شاشة التليفزيون ..

قال لنفسه :

— هذه المسلسلات تبالغ على الدوام فى حجم الجريمة ! ..

وفكر بهاء للمرة الألف .. فى البحث الذى يجب أن يكتبه عن أثر جرائم التليفزيون على عقول المشاهدين .. وخاصة الأطفال .. وللمرة الألف أيضا اعترف بفشله فى إقناع مدير المحطة فى إنتاج مسلسل عن بشاعة المسلسلات الدموية .. ولن ينسى وجه المدير الساخر من بلاهته وهو يعظه :

— يا بهاء .. أنا أيضاً عندى أطفال .. وأقاربى لهم أطفال .. وجيرانى لديهم أطفال .. وفى الشارع الذى أسكن فيه توجد إصلاحية أطفال .. لكنهم جميعاً يطلبون منى المزيد من هذه المسلسلات الدموية .. التى لا تعجب حضرتك ..

— لكن ..

— افهمنى يا بهاء .. ولا تنسى أن هذه المحطة .. أهلية .. يعنى .. أنا وأنتم هنا .. لتحقيق كل رغبات المشاهدين .. وأذكرك بأن مرتبك الضخم .. وأرباحى أنا وكل العاملين فى هذه المحطة .. يدفعها أصحاب الشركات والمصانع الذين من حقهم الإعلان .. عندى .. عن بضائعهم و...

هز بهاء رأسه فى صمت ، وبدأ يفكر فى تحويل كل الأفلام التى صورها عن الجريمة وآثارها المدمرة ، إلى بحث يحصل به على الماجستير .. لكنه فشل فى إقناع إدارة الكلية التى أسسها رجال الأعمال وأصحاب المصانع والشركات .. و .. لم يفقد حماسه .. ظل يحتفظ بشرائط فيديو كاسيت .. ولديه فى أركان البيت مئات من هذه الجرائم المسجلة « صوت وصورة » داخل علب و ...

عاد بهاء يحاول متابعة المسلسل المخيف ، على الأقل :. لكى يجد ما يقوله لزميلته الحسناء ، فهى سوف تسأله غداً عن رأيه فى تحذيرها المثير للمشاهدين ، وهل كانت بارعة كالعادة ، وهى تقدم المسلسل بنبذة مختصرة عن مأساة البطل الذى اكتشف فجأة أنه مجرد ضحية على الدوام .. و ... رن جرس التليفون .. وأضىء نور أحمر فى الكاميرا « فيديو كاسيت » – التى سلمها له مدير المحطة الأهلية .. كعهده ، و ...

تذكر بهاء أنه يجب أن ينتهى الليلة من إعداد برنامجه اليومى عن « أهم الحوادث المحلية » .. الذى لمع من خلاله .. ونال به إعجاب المشاهدات والمشاهدين ، منذ بدأ عمله فى هذه المحطة .. ولكنه لم يقنع نفسه – بعد – بأن عمله كمندوب متجول ، وصاحب أشهر برنامج عن الجريمة ، هو .. أفضل من عمله السابق كمسئول عن قسم الحوادث فى صحيفة المدينة .. و ...

رن جرس التليفون مرة أخرى .. وأضىء النور الأحمر فى الكاميرا .. وفتح الاتصال بالمحطة .. ليجتاحه صوت المدير :

– أين كنت يا بهاء ؟ ! .. أسرع إلى مصانع الجوارب الحريمى ماركة الصعود إلى القمر ..

– إعلان آخر ؟ ! ..

– .. لكن هذه المرة خبير الإخراج عندنا ، أعد لهم الحريق ببراعة مذهلة .. إن جوارب الصعود للقمر تحمى سيقانك يا سيدتى من الحرائق المفاجئة .. اكتب يا بهاء .. سأمليك كلام الإعلان بنفسى لتقرأه – بطريقتك

الجميلة أثناء نقلك لتفاصيل الحريق الرهيب . . أسرع يا بهاء . . واستعد لتكون على الهواء مباشرة فور وصولك إلى المصنع . . ولا تنس التركيز على وجه صاحب المصنع ووجه ابنته وزوجته .. فأجر الإعلان تضاعف ثلاث مرات لهذا السبب .. وإياك أن تكون صورة البنت مهزوزة . . لأن زفافها بعد غد .. وقد حصلت على عقد مربح جدا لأنقل الزفاف السعيد على شاشتى .. هه ! . . أسرع . . هل وصلت الآن . . هل أفتح على الهواء ؟ ! ..

ـ لا ..

ـ كيف ؟ .. ستخرب بيتى :. هل أغلق المحطة..سأقتل من يتسبب فى إفلاسى .. آه .. ما هذا ؟ .. بهاء .. بهاء .. هل أطلقت على نفسك الرصاص . . رد يا ولد ؟ . . هل ما سمعته الآن . . طلق رصاص حقيقى ؟ ! ..

ـ نعم . . أرسل لى عربة إسعاف بسرعة ..

ـ ماذا حدث . . انتحرت يا ولد ؟ ! . .

ـ أتمنى ذلك . . لكن . . للأسف . . الطلقات قريبة من مسكنى . . يظهر أن القتلة هذه المرة يتعجلون الظهور على شاشتك .. الإسعاف بسرعة من فضلك ..

ـ حالا .. واستعد بالأفلام والكاميرا .. سأنقلك على الهواء حالا بعد أن أتفق مع صاحب .. قل لى .. ما هى أهم وأشهر الشركات والمصانع فى شارع مكة.. يا بهاء .. أسرع يا ولد ! . .

***

.. انفجرت طلقة رصاص أخرى بالقرب من بهاء .. ودوت صرخة مرعوبة خلف نافذته المطلة على الشارع .. ترك بهاء التليفون .. وحمل الكاميرا والأفلام ، ولمح على الشاشة إعلانا مثيراً عن أشهى وأرخص الوجبات العائلية من إنتاج مزارع الصحراء الغربية و ... تذكر أنه جائع لكنه هرول إلى الشارع .. وأضاء مصباحه الأتوماتيك .. فكشف — وسط الظلام — عن جسد مثير ، تمزق قميص النوم عن بعض مفاتنه ، و .. من عين الكاميرا ، رأى بركة من الدم حول البطن والصدر والفخذين و ... الكاميرا تسجل والضوء يزيح ظلام الشارع عن جسد المصابة ببطء .. زاحفاً من قدميها إلى فخذيها إلى بطنها وصدرها وعنقها و .. يتوقف الضوء عند وجهها وشعرها المتناثر و .. يصرخ بهاء :

— من ؟! .. تاتا ؟! .. غير معقول !..

ركع بهاء وقرب ميكرفونه من شفتيها .. وسألها بلهفة وذعر :

— من هو ؟ .. من هم ؟!.. تاتا .. أنا بهاء .. بهاء يوسف .. تكلمي..

لاشيء غير اللهاث .. الأنين .. الحشرجة .. والدم ينزف بغزارة من البطن والفخذين و .. تلفت بهاء حوله .. الشارع يخلو من الناس ..صوت أقدام تجرى مبتعدة .. و .. أدار بهاء مصباحه الكهربى فى الشارع مرات لمح الأقدام .. لكنها اختفت عند الشونة الواسعة المظلمة فى نهاية الشارع .. مسح بالضوء الأبواب والنوافذ كلها مغلقة .. حبال الغسيل مزدحمة بثياب داخلية وخارجية ذات ألوان صارخة .. قطة تجرى خلف صغارها .. وكلاب تتسابق وتنبح .. وصوت طائر الكروان بين النجوم .. والسحب حبلى بأمطار غزيرة .. والرياح باردة محملة بالرمال ، وأشجار الجازورينا تهتز فى عنف والرياح تصفر بفحيح حزين بين شواشيها السوداء و ...

عاد بهاء يرجوها فى حزن وهلع :

– قولى ياتاتا .. تكلمى .. من هم ؟ .. من هو ؟ ..

– ... ! ..

وأضيء النور الأحمر فى الكاميرا .. وجاءه صوت المدير :

– لاتنس يابهاء .. أتسمعنى .. ماهذه الحشرجة والأنين ؟ ..

– الميكرفون على شفتيها ! ..

ضحك المدير فى خبث .. وقال :

– شهية ؟!.. المهم .. افتح الميكرفون على أعلى درجات الحساسية .. يجب أن تلتقط كل شيء .. حتى أدنى المؤثرات الصوتية و .. الخلفية المحيطة بجو الجريمة .. و .. لاتنس كل تفاصيل مسرح الجريمة .. ستكون على الهواء بعد دقيقتين ..

– .. والإسعاف ؟! ..

– فى الطريق إليك .. أهى جميلة جداً ؟! .. وثيابها .. ماهى ماركة ثيابها .. و .. أعطنى بسرعة ماركة رموشها الصناعية .. والباروكة .. والبلوزة .. والبنطلون .. والثياب الداخلية .. والحذاء .. والجورب .. وحقيبة اليد .. والحلى .. ونوع الشامبو .. الحادث لابد أن يخدم المعلنين بمحطتى .. هه .. هل تذكرت ماركات ونوع ملابسها و ..

– إنها شبه عارية ياسيدى . الإسعاف والشرطة من فضلك ..

– حالا .. لكن أخبرنى ياولد .. لماذا تبكى بكل هذه المرارة .. صورتك أمامى الآن .. أراك بوضوح .. هل كنت على علاقة غرامية معها ؟

ـ عن أذنك .. سأغلق الاتصال ! ..

ـ لحظة ياساذج .. .. دعنى أرى وجهها .. أترك العدسة على وجهها.. أكثر أكثر .. يامجنون . كيف أخفيت كل هذا الجمال الرهيب عنى ؟ .. لوكتب لها عمر آخر .. وعاشت .. لابد أن تحضرها إلى .. سأتعاقد معها فوراً وبأى أجر تريده هى .. أدر الكاميرا قليلا .. شمال .. يمين .. أسفل.. أعلى .. ياغبى .. أنت حقا أغبى مذيع فى العالم ! .. كان يجب أن تكون هذه الحورية .. أشهر عارضة أزياء فى محطتى .. قل لى : اسمها ؟! .. لابد أنك محظوظ .. أكيد .. فهى دافئة .. لابد أن تكون دافئة ومثيرة .. منذ متى وأنت .. ياخلبوص .. تعرفها .. هه ؟! ..

ـ .. عن إذنك ياسيد . الإسعاف تأخرت ..سأحاول ..إيقاف الدم!..

ـ إذن .. ستاند باى .. أنت على الهوا يابهاء .. انتبه ياعزيزى لعملك.. فهذه أول مرة ننقل جمهورنا العزيز إلى مسرح الجريمة . . ومنذ اللحظات الأولى .. اللحظات الساخنة .. الملتهبة .. بهاء يوسف .. معكم سيداتى سادتى.. على الهواء .. فى مسرح الجريمة .. إنه وحده يصارع الموت .. انظروا إليه .. أنه يمزق قميصه ليربط جراح المجنى عليها .. الدم يلوث وجهه ويديه.. إن محطتنا تفخر بأنها دائما فى ..

***

واجه بهاء .. الكاميرا .. وقال فى مرارة ظاهرة :

ـ إن مايعانيه إنسان واحد .. يجب أن ينعكس .. وينصب على الناس جميعا !.. كانت هذه آنساتى سيداتى سادتى ـ هى الكلمات التى سمعتها الليلة

عندما انفجرت الرصاصات وبدأت الجريمة التى .: وانتقلت الكاميرا إلى وجه تاتا ::

وصرخ بهاء فى رجاء وإلحاح :

ـ حاولى ياتاتا .. تذكرى اسمه .: من هو ؟.. من هم ؟! :. أنا بهاء يوسف .. انظرى إلى .. افتحى عينيك ..آه :. أخبرينى ..

ـ ... !

لمح عينيها .: كم قبلهما ٠٠ وكم باح لهما بأحزانه وأحلامه ٠٠ وكم نظرتا إليه بحب وحنان و ٠٠ هزت رموشها برجفة حزينة ٠٠ وكأنها تقول له أنها رأته ٠٠ وأنها فرحة لوجوده إلى جوارها ٠٠ لكنها لم تقو على التخفيف من أنينها وحشرجتها ٠٠ ولم تستطع الاعتذار له ٠٠ و ٠٠

أسرع بهاء إلى مسكنه .: وعاد حاملا زجاجة الكلونيا :: ومطهر وقطن و :: رش وجهها بماء الكلونيا .. وقرب فمه من أذنها وقال فى لوعة :

ـ ساعدينى لأنقذك :: من هو ؟ :: من هم ؟! ؟؟

ـ ؟؟؟ ! ؟؟

وقف بهاء غاضباً ؟؟ تلفت حوله :: ليس هناك غير حبال الغسيل المحملة بالثياب الداخلية والخارجية الملونة :: صاح مستغيثاً :

ـ يا سكان شارع مكة ؟؟ أين أنتم ؟ ؟؟ أفيقوا ؟؟ استيقظوا من غيبوبتكم ؟؟

لكن ؟؟ لم يجبه غير صدى صراخه ؟؟ كانت استغاثته تتردد فى جنبات الشارع الطويل الصامت :: وتصدم نبراته بالنوافذ والأبواب المغلقة.:وتحمله

الريح إلى الخلاء المتوحش خلف البيوت .. فيتردد صراخه فى الصحراء الغربية المظلمة .. المحيطة بالمدينة الجديدة .. والدم ينزف بدون توقف .. وجسد تاتا الممدد أمامه ينتفض .. كأنه ينحدر إلى الموت و ...

عاد بهاء يصرخ بلا توقف :

– الغوث .. الغوث ! .. يا سكان شارع مكة أسرعوا .. توحيده رضوان تموت .. تاتا تموت ! ..

ثم انحنى على ركبتيه ، وحضن وجه تاتا بيديه المرتعشتين .. وسألها فى لهاث :

– تماسكى يا بنت .. احتملى .. فما أكثر الشقاء الذى .. هه .. هل تسمعيننى ؟ .. لابد أنك رأيت وجه الذى غدر بك .. ما اسمه . من هو ؟ .. من هم ؟ ..

– ... !

أصابه اليأس وثقل به الهم ، ولكنه ظل يقاوم النزيف .. قميصه لا يوقف الدم .. امتدت أصابعه ولمست الوريد .. أسفل ذقنها .. كان النبض يخفت .. صرخ فى جهاز الإرسال :

– أين الإسعاف ؟ .. والشرطة ؟! ..

جاءه صوت المدير ، فرحا منتشيا :

– أهنئك يا بهاء .. التسجيل ممتاز .. سيكون مفاجأة محطى للمشاهدين .. سأبدأ به الإرسال غداً .. بعد أن أحصل على موافقة الشركات

التي ستتسابق على حجز الوقت اللازم للإعلان عن منتجاتها :: سأريهم التسجيل :: وسوف يتصارعون للفوز بإعلان ساخن جداً فى برنامجك : على فكرة :. أنا قررت صرف مكافأة ضخمة لك :: أكرر التهنئة :

— الاسعاف يا رجل .. إنها تموت ! ..

— سأتصل بهم حالا .. التسجيل كان عندى أهم يا ولد ! ..

صرخ بهاء فى قرف : الغوث يا أهل شارع مكة ! ..

:: أخيراً :: انفتحت بعض الأبواب القريبة .. وأطلت بعض الوجوه الخائفة .. المتوجسة شرا .. وجرت بعض الأقدام :: وارتفعت بعض الأصوات .. و

انحنى بهاء مرة أخرى إلى جوار تاتا .. ومسح على شعرها الأسود الطويل المتناثر حول رأسها .. وعلى صدرها .. وعلى أرض الشارع :: وهمس فى أذنها بصوت يخنقه الغيظ والاحباط :

— لا تخافى . أنا بهاء :: أخبرينى بأسمه .. تاتا :. قولى شيئا :: حاولى .. أرجوك ! ..

فتحت عينيها .. نظرت إليه بضعف .. كانت نظرة واحدة منها تلهب عواطفه وتصعد بأحلامه إلى عنان السماء :. وكانت رجفة رموشها توقظ الجنون فى رغبات كل الرجال والشبان فى شارع مكة .. كما كانت تضاعف من جنون الغيرة والحسد فى قلوب النساء والبنات والعوانس بالذات :: ولكن :: ها هى تهمس بشىء .. شفتاها تتحـــركان :. ترتجفان :: قرب بهاء الميكرفون منهما :: لكن لم يخرج من فمها غير

آهة خافتة فيها كل ما فى جراحها من عذاب رهيب و :: عاد بهاء يستغيث بأهل الشارع .. وقال :

– لو كان سكان شارع مكة .. تجاوروا قبل الرحيل إلى هذه المدينة .. لدفعهم الود إلى تاتا .. حتى لو كان القتلة يضعون بنادقهم على أبواب البيوت .. لكن .. وأسفاه يا تاتا .. أنت وأبوك وأنا .. ربما كنا الوحيدين الذين جاءوا إلى هنا من مكان واحد .. أنتم يا غجر ! .. يا من جئتم من شقوق الأرض وقرى الوادى .. لتعيشوا فى الغربة خائفين .. أسرعوا .. تاتا تموت .. تاتا قتلوها .. قتلوها ! ..

.. فوجىء بهاء بصوت أقدام تهرول نحوه . . اقتربت أم بنورة جارته الضخمة القوية .. مشمرة عن ذراعيها وفخذيها .. كما هى عادتها على الدوام .. وخلفها بعض العاملين والعاملات فى معصرة العنب .. الذى تمتلكه أم بنوره .. وصاحت به :

– من قتلها ؟! ..

ثم فتحت فمها بصرخة طويلة هائلة زلزلت البيوت ، ودفعت بالسكان مذعورين إلى النوافذ والشرفات والشارع ..

وانحنت أم بنوره على تاتا .. ضمتها بحزن وقالت :

– الغربة مرة يا بنتى .. والعار صعب على القلب ! ..

وسالت دموعها ..

و ...

عندما وصلت سيارة الاسعاف ، وعربة الشرطة ، غمر المكان أضواء مبهرة ، تغشى العيون فزادتها ذعرا .. وانكمش الناس خلف أم بنورة .. التى — رغم حزنها الشديد — تباهت بوجود ابنتها الممرضة — بنورة — مع الطبيب الذى حاول إيقاف النزيف .. لكنه فشل .. وصاحت أم بنورة فى ابنتها :

— قتلوا تاتا يابنورة ! ..

وشحب وجه بنورة .. وصاحت فى هلع :

— توحيدة ؟! .. غير معقول ! ..

وتعاون بهاء وأم بنورة مع الطبيب والممرضة ، لحمل جسد تاتا .. إلى عربة الاسعاف المجهزة طبياً .. وانهمكت الممرضة فى معاونة الطبيب .. وهى تنظر إلى وجه المصابة وتهمس فى حزن ثقيل : من غـدر بك يا توحيدة ؟! ..

نظر إليها الطبيب بسرعة .. والتقط منها الحقنة ، وسألها :

— تعرفينها يا بنورة ؟! ..

ازداد ارتجاف يدى بنورة .. وازدادت سمرة وجهها .. وحاولت أن توقف النزيف الغزير .. وهمست :

— أنا أسكن فى نفس الشارع .. وهى نجمته الفاتنة ..

و .. انطلقت عربة الاسعاف بسرعة .. وبداخلها بهاء والكاميرا على وجه تاتا .. والطبيب والممرضة بنورة .. يجاهدان لإيقاف الدم المندفع من البطن والفخذين و ..

قال بهاء : حتماً .. إن الانسان ليس بطلا دائماً :: بل هو ضحية فى معظم الأحيان ! :.

استدار إليه ضابط الشرطة ، والمحقق – اللذان لم يرها وهما يركبان « الاسعاف » .. وينزويان فى ركن العربة :. سأله المحقق :

– أتعرفها يا أستاذ بهاء ؟! ::

امتدت يدا بهاء :: بقطعة قطن ضخمة ، وحاول المساعدة فى إيقاف الدم النازف من جسد تاتا .. سيطرت عليه أحزان قاسية :: قال :: والدم يصبغ يديه :

– لماذا يا تاتا ؟ :: لماذا ضربوك بهذه الوحشية :: لماذا ؟! ::

:: واقترب منه المحقق !

* * *

— ٢ —

قالت المذيعة .: وهى تجفف دموعها :::

– معذرة لهذه الدموع .: فإن ما سنراه حالا :: أنا طرف فيه :::: كيف ؟! ..

– لقدكان صديق .. أقصد .. إنه كان زميلى بالجامعة .. وخرجنا معاً عدة مرات :. دعانى مرة للسهر معه فى ملهى بنورة الشهيرة .. وكدنا نتزوج .. لولا أنه فجأة .. صار قاتلا ! .: معذره .. دموعى كثيرة جداً .. لكن اطمئنوا .. فرموشى الصناعية ومكياجى .. من إنتاج مصانع . : . . وهى الأجمل والأقوى والأكثر متعة ولذة .. و .. إليكم رسالة – على الهواء مباشرة .. من ليمان الواحات ! ..

– ظهر وجه مندوب المحطة – المذيع حليمو إبراهيم ...قال :

– من سجن الواحات . . أنقل لكم هذه الصورة . . لتتأكدوا مرة أخرى .. أن من يسىء إلى بلدتنا « طيبة الجديدة » ..و يغدر بأحلامها .. فإنه حتما إلى عقاب السماء .. وإليكم ضيفنا :

– الاسم ؟ .

– جبران خليل محمد : . من مواليد الاسكندرية .: جئت إلى « طيبة الجديدة» من عامين .. مع أسرتى : : ونحن نملك شركة للأحذية هنا..وسلخانة

للجلود . ومدبغة ومصبغة جلدية أيضا .. وأنا .. طالب بالحقوق .. فى جامعة « طيبة الجديدة » ..

ـ فكيف إذن قتلت ؟ ..

ـ لم أقتل . .

ـ كيف ؟ ! . .

ـ رفض والدى زواجى من زميلتك المذيعه الجميلة .. قال إنها لازالت طالبة بالجامعة . . وأسرتها كلهم من الموظفين المساكين .. لا دخل لهم سوى مرتباتهم وعمولاتهم من إذاعة الإعلانات أو المشاركة فى الدعاية لأدوات التجميل . .

ـ ثم ؟! . .

ـ غضبت من والدى . . وخرجت حزينا من البيت .. كانت «طيبة الجديدة» كالسجن .. شعرت بالاختناق .. ذهبت إلى ملهى بنوره .. التقيت بصديقين لى .. ضحكا من أحزانى .. قالا تعالى معنا .. سنقوم برحلة إلى الاسكندرية عبر الصحراء . .

ـ ثم ؟! . .

ـ فى الطريق الصحراوى من طيبة إلى الاسكندرية .. ومسافته حوالى ٣ آلاف كيلو متر .. فوجئنا بشاب مجهول يشعل النيران فى مزرعة دواجن .. توقفنا .. زملائى وأنا .. وطاردنا المجرم ..

ـ ثم ؟ ! . .

ـ استيقظ حراس المزرعة .. وطاردونا بالرصاص ..

– ثم ؟! . .

– فوجئت بأحد الحراس قتيلا أمامنا . . حاولت إسعافه . . فتلوثت بدمائه . . وعندما أفقت من ذهولى . . وجدتنى وحدى بجوار جثة القتيل . . وبنادق زملائه الحراس تهددنى بالقتل إن هربت . .

– ثم ؟! . .

– أشغال شاقة مؤبدة ! . .

– هل فقدت الأمل ؟ !

– فى الزواج من زميلتك المذيعة الجميلة . . نعم . . فهى لم تزرنى منذ نقلت لسجن الواحات . .

– وفى أسرتك ؟ ! . .

– ما زلت أواصل دراستى بالمراسلة . . سأكون محامياً . . وسأعيد التحقيق فى قضيتى . . ومن يدرى . .

انقطع الإرسال . . وظهر وجه مدير المحطة وهو يقول :

– لحظة من فضلكم . . لقد اتصل بى خليل محمد الآن والد المتهم جبران . . وها هو أمامكم معى على الشاشة . . وإليكم حديثه :

قال الأب . . فى حزن :

– إن الأمل يراودنى دائما . . لإنقاذ ابنى جبران . . أنا أعرف أنه قد تهور . . بسبب قصة حب ساذجة . . لكننى سأذهب إلى النيابة حالا . . وأقدم تنازلا منى عن الجريمة . . و . . للأسف . . مزرعة الدواجن التى أحرقها ابنى . . هى أصلا مزرعتى أنا . . والحارس الذى قتله ابنى . . هو حارسى الخاص . .

و .. أنا فى غاية الألم لهذا الإيضاح .. لكن .. أنا أتهم الفتاة الفاسدة « تاتا .. » لأن ظهورها فى بلدتنا الطيبة هذه .. أشاع الفساد والتهور بين أولادنا . إنها سر انحراف ابنى الوحيد

وغلبته الدموع .. فصمت ..

وقال مدير المحطة :

ــ إن محطتى الأهلية للتليفزيون . . تسعى على الدوام لدعم الروابط الأسرية . . وتقوية عواطف الأبناء نحو آبائهم . . وعواطف الآباء نحو أولادهم وبناتهم . . لكن .. ترى .. ما هو رأى زميلتنا .. المذيعة الحسناء .. فى هذه القصة . .

ــ هل طلب الزواج منك حقا ؟! . .

قالت المذيعه فى أسى :

ــ لكننى الآن متزوجة . . وليس من حقى الحديث عن حب فاشل فى حياتى .. لقد كانت مسألة خاصة جداً .. لا أحب الحديث عنها الآن .. لأننى زوجة . . بالتحديد .. أنا الآن . . الزوجة الثالثة فى حياة زوجى .. وأخشى أن أغضبه إذا عدت لذكرياتى الماضية . .

ضحك المدير . . وغمز بعينه فى خبث .. وقال فى مرح :

ــ هل تعرفون الرجل السعيد . . الذى جعل هذه الحسناء .. زوجته الثالثة ؟ ! . . .

نظر إليها لحظة ثم قال :

ــ هل نجعل المسألة .. فزوره .. وندعوكم للتسابق على حلها .. إننى أفكر الآن فى تخصيص جائزة مالية ضخمة لمن يعرف منكم .. اسم زوج

مذيعتكم الحسناء : : لكن . : لسوء الحظ :: لن أجد المعلنين الذين يبعثرون أموالهم فى جائزة لمن يعرف أننى شخصياً :: هذا الزوج السعيد جداً :. مع مذيعتكم الحسناء : : هى حقا الثالثة :: لكن :. هذه أمور خاصة جداً . .

– ثم : : دعونا نعود بكم إلى تاتا :: لنعرف بقية القصة المثيرة : : و : : لماذا : : وكيف :: حاولوا قتلها : : و : : من هم الجناة .. و :: إلى هناك : :

و .. معكم المذيع اللامع .. فى محطة التليفزيون الأهليه :: لمدينة « طيبة الجديدة » .. معكم .. بهاء .. على الهواء ! .:

***

نظر المحقق إلى الوجوه الشاحبة ، والعيون الزائغة .. وقال لضابط الشرطة :

— انظر إليهم ! ..

ثم أضاف حانقا :

— إن الإنسان لا يستطيع أن يخفى طبيعته الداخلية أطول من اللازم .. لأنها إن عاجلا أو آجلا ستطفو على السطح وتتحكم فى تفكيره وسلوكه أيضاً ! ..

هز الضابط رأسه — مرات .. وأشعل سيجارته ، وكأنه يفهم ما يقوله المحقق ، لكنه فى داخله كان قلقا ، بعد أن أخرته هذه الجريمة عن موعده العائلى .. ستغضب زوجته .. فهذا أول عيد لزواجها لكن.. نفث الدخان بزهق وسأله :

— هل أتحفظ على كل الموجودين ! .. إنك يا عزيزى المحقق تستطيع غداً صباحاً أن تواصل عملك ! ..

واصل المحقق هوايته فى تصنيف البشر ، بين مجرم بطبعه .. بالوراثة .. وبين منحرف اضطرارى .. تحت وطأة ظروف طارئة .. وتمهل وهو يضيف :

– إنهم يتنفسون بشكل أوتوماتيكى .. ويتحركون وكأنهم تحت وطأة التهديد .. وأخطر ما فى سلوكهم هذا .. هو لجوءهم إلى الصمت .. وهذا ما يهدد مهمتى هنا بالفشل ! ..

سأله المحقق :

– هل تريد قوة إضافية من رجال الشرطة ! ..

قال المحقق :

– يوجد ما يكفى لتخويفهم ! ..

ثم اقترب بسرعة مباغتة من السيدة أم بنوره ، وسألها :

– أين والد المجنى عليها ؟ ! ..

نظرت إليه المرأة باندهاش : وكأنها لأول مرة ترى رجلا فى مثل حجمها البدين .. وكرر عليها السؤال ، لكنها لاذت بالصمت .. وبعد برهة ، أطلت عبر الجدار الزجاجى الذى يفصل غرفتهم عن غرفة العمليات واستغرقت فى أدعية وابتهالات تستدر بها رحمة الله للمسكينه تاتا بنت رضوان ..

سألها المحقق :

– اسمك .. وعنوانك .. وعملك ؟

قالت أم بنوره :

– فهيمة حسب النبى .. من بندر المنصورة .. وجئت إلى هنا من سنتين .. وأسكن فى بيتى بشارع مكة .. وأنت وأهل المدينة كلهم يعرفون عملى ..

بذل المحقق جهداً كبيراً حتى سيطر على شعوره بالخجل والحرج ::
ونظر إلى مساعده ، وقال له :

ـ سجل كل شيء من فضلك .:

ثم استدار للسيدة فهمية حسب النبي :: الشهيرة بأم بنوره .: وقال :

ـ .. وعملك .: ؟

قالت :

ـ صاحبة معصرة العنب : : وتاجرة الخمور : : وأنت أحد زبائن محلي : . ولا أظن أنك تريد أن أقول كل شيء عن السهرات التي أرتبها لأعيان المدينة وفقرائها و ...

ـ ما هي معلوماتك عن المجني عليها ؟ .:

ـ جارتنا في الشارع .. وصديقة لابنتي بنوره .. الممرضة التي تعالجها الآن مع الطبيب . .

ـ وأين والد المجني عليها : . أو والدتها ؟ ! .:

ـ : : . : :

لاذت أم بنوره بالصمت مرة أخرى :: وعادت تبتهل إلى الله وهي تتابع ابنتها بفخر وزهو .:

قال الضابط :

ـ واضح أنهم مصممون على إرهاقك .: فلنؤجل كل شيء إلى الغد ••

ثم أضاف :

– بقيت ساعتان :: ويطلع النهار .. فدعنا ننقلهم إلى قسم الشرطة و..

قال المحقق غامزا بعينه ، مشيراً إلى أم بنوره :

– لسانها مفلوت على الدوام :: ولكنها ستقول لنا كل فضائح المدينة.. ولن تخبرنى بما تعرفه عن الجريمة ! . . أنا أعرفها ::

ضحك الضابط فى ملل .. وقال :

– واضح أنها تعرف كل شيء عن زبائنها من..أعيان طيبة الجديدة !..

وتزايد حرج المحقق :: وقال هامسا :

– أنت تعرف أن الاغتراب المفاجيء . . يجعل أمثالى فى حاجة إلى شيء من البهجة .. و .. فى الحقيقة .. وأنت تعرف ذلك جيداً .. لولا سهرات أم بنوره . . لفقد الإنسان شهيته للحياة هنا .. لكن . . دعنا من هذا :: وقل لى .. ألم يعثر رجالك على المشتبه فيهم بعد ؟ ! ..

– أنت تعرف أن الصحراء الغربية أوسع من أن تعثر فيها على أحد.. بسهولة . . لكن : . مؤكد سنعثر على أحدهم – على الأقل .. خلال ساعات إذا استعملنا طائرات الهيلكوبتر ! ..

اتجه المحقق إلى الشيخ عبد الراضى ..واعظ المسجد :: وفاجأه بالسؤال :

– ما هى معلوماتك عن الجريمة ؟ !

ضغط الشيخ على مسبحته ، واستعاذ من الشيطان الرجيم :: وبسمل ، وقال :

– إن المسجد يشكو إلى الله ندرة المصلين فى هذا الزمان العجيب .. ويعلم الله سبحانه ، أنى ما قصرت وما أهملت فى أداء واجبى .. لكن الشر ينتشر كالوباء .. وفى رأيى الشخص أن إغلاق محل السيدة أم بنورة.. قد يعجل بإعادة الناس هنا إلى حظيرة الإيمان ..

صاحت أم بنورة فى غضب :

– معى ترخيص من رئيس المدينة .. يا سيدنا الشيخ ! ..

قال المحقق :

– أسألك عن محاولة قتل الآنسة تاتا رضوان ..

قال الشيخ :

– إننى يا سيدى أخشى أن نكون قد أقمنا فى هذه المدينة مجتمعاً مريضاً . .

– وماذا تعرف عن أسرتها ؟ ! . .

– كل السكان هنا – كما تعرفون .. جاءوا أشتاتا متفرقة .. من كل مكان فى بلادنا .. من الريف ومن الحضر .. وهم بالضرورة ، يحملون بداخلهم بذور فساد اجتماعى توارثوه هناك .. مثل ميراثهم الهائل من الخلافات العائلية .. و .. ما يسمى بصراع الأجيال .. و عواطفهم المحبطة .. و ..

– أسألك يا فضيلة الشيخ عبد الراضى ، عن أسرة المجنى عليها . . هل تعرف والدها .. أو .. أمها ؟ ! ..

– إنهم بشكل أو آخر .. مثل غيرهم .. فشلوا فى قراهم أو مدنهم . .

وجاءوا إلى هنا ليحققوا أحلامهم المؤجلة كلها .. وهم يريدون الدنيا وما فيها دفعة واحدة .. ولهذا تغلب عليهم الأنانية .. ويتشاحنون بلا رحمة و . . .

– أليس للمجنى عليها .. أى ولى أمر فى المدينة ؟ ! .

– لدينا هنا . . حوالى ٦٩٠٠ أسرة .. تفتقد التآلف .. وترفض الاندماج ولهذا تسود بينهم نوازع بدائية كثيرة ! ..

قال المحقق فى زهق :

– سيدى .. واعظ المسجد .. هل لديك ما يفيد التحقيق ؟ !

قال الشيخ فى صبر وحزن :

– يجب أن تتعاونوا معى .. لنعيد زرع الإيمان فى النفوس الخربة هنا .. إن الحياة العصرية فى هذه المدينة ، تلحق الأذى بنفس الإنسان وجسده .. وصدقنى .. إن المدينة هنا مثل الأورام الخبيثة .. وكل يوم آخر يمر بى هنا ، يجعلنى أزداد يقينا من أن البيوت الحديثة هنا ، قد صارت مخازن لكل الفساد البشرى ! ..

قال المحقق :

– ألا ترى فضيلتكم .. أن نظرتك للأمور يغلب عليها التشاؤم ؟ !

اتسعت عينا الشيخ عبد الراضى ، وقال :

– أولا . . . أنا حاصل على دراسات فى علم النفس ، كما أننى رجل متطور التفكير ، وثانيا .. أنا هنا كى أحبب للناس العودة إلى الله . . وكى أوقظ جذوة الإيمان .. ومع علمى بأن الصراع هو قدر الإنسان . . إلا أننى أريد أن أصل إلى ذلك الينبوع الكامن بداخلهم .. قبل أن يجف نهائيا فى

فى غابة الأفكار المنحرفة والمتطرفة ! ..

— هل لديك أقوال أخرى .. تفيد فى كشف غموض هذه الجريمة ؟ !

— مهما طال الطريق.. ومهما تنوعت المآسى .. فان الرحمة الإلهية فى انتظار كل من يبحث عنها .. ويجب أن نجاهد لكى يعود لبيوت الله دورها الكبير فى الهداية والخير والسعادة ! ..

ثم .. صمت الشيخ .. محزونا .. فانصرف عنه المحقق .. واتجه بنفاد صبر إلى بهاء يوسف، .. وسأله :

— هل تعرف .. أين .. وكيف اختفى والد .. ووالدة المجنى عليها ؟

قال بهاء وعيناه على تاتا فى غرفة العمليات :

— لا أعرف ! ..

— تقول الصدق ؟ ! ..

— لا ! ! ..

— لماذا ؟! ..

— قبل كل شيء .. اطمئن على سلامة تاتا ..

— الطبيب يقوم بواجبه على خير وجه ! ..

— لكنها فى خطر ! ..

— دعنا نحاول كشف الغموض .. لنمسك بالجناة ..

— وهل والدها محل اشتباه ؟ ..

— كل إنسان هنا .. يحتمل أن يكون الجانى ! ..

— معى لك شيء مثير .. هذه العلب بها أفلام تصور كل ما شاهدته

أنا .. منذ سمعت إطلاق الرصاص .. سأعرضها لك على شاشة الفيديو كاسيت .. وبعد ذلك يمكن أن نتحدث ! ..

فرح المحقق بالكنز .. واستغرق فى مشاهدة ما سبق أن صوره بهاء .. الذى انشغل تماما بمتابعة ما يجرى داخل غرفة العمليات .. والقلق يمزقه ..

كان يريد أن يعرف ماذا يجرى .. هل أخرجوا الرصاصات من جسدها أم لا ؟ .. هل ماتت تاتا ؟ .. هل بقى أمل فى نجاتها ؟ ..

فجأة لاحظ اضطرابا وارتباكا داخل الغرفة ، وشاهد الطبيب يصيح مؤنبا ، والممرضة بنورة تهرول خارجة إليهم .. حيث توقفت لحظة .. لاهثة .. ثم قالت :

– من فضلكم .. تعالوا معى إلى المعمل بسرعة .. نريد كمية من الدم. فصيلة «ا» ..

أسرعت أمها .. وبهاء .. والشيخ عبد الراضى .. وعدد من عاملات وعمال معصرة العنب إلى المعمل .. وهم فى صمت و .. الخوف يثقل قلوبهم ! ..

***

.. وفى مبنى محطة التليفزيون.. كان المدير ينتهى من ترتيب الإعلانات حسب المبالغ التى دفعتها الشركات والمصانع .. وكان قد عرض ما سجله على عدة شرائط ، من صور مثيرة للمجنى عليها تاتا..وبهاء يحاول إنقاذها.. عرض كل ذلك بحماس على مندوبى جميع شركات ومصانع المدينة والصحراء الغربية ، وقدم لهم المشاريب المنعشة ، والعشاء الدسم .. ثم .. ضغط زرارا أمامه بإلحاح .

أخيراً رد عليه بهاء ، بصوت متعب .. فصاح به المدير فى مرح شديد :

– لك ١ ٪ من قيمة الإعلانات .. هذا أولا .. وثانياً .. أنت على الهواء بعد دقيقتين .. أتسمعنى يا بهاء .. على الهواء مباشرة .. وقد اتفقت مع شركات الأدوات العلاجية على الإذاعة مباشرة من المستشفى : لا تنس لك ١ ٪ .. والآن .. ستندباى .. سيداتى سادتى .. فى إذاعة خارجية مباشرة معكم بهاء يوسف نجم المحطة الأهلية ، لتعيشوا لأول مرة تفاصيل القصة المثيرة .. الآن أنتم وبرنامج صباح الجمعة .. وبهاء يوسف .. والجريمة المثيرة .. و ... أضىء النور الأحمر فى الكاميرا أمام بهاء .. ووجد نفسه يقول : الآن .. سأروى لكم كل شىء ! ..

قاوم بهاء أحزانه وارتباكه .. وأدار الكاميرا إلى الجدار الزجاجى وضغط الأزرار ليفتح أجهزته على أدق درجات الحساسية لتصوير وتسجيل كل شىء يحدث فى غرفة العمليات .. وسمع بوضوح لهاث تاتا .. وتنفس الطبيب .. وهمس الممرضة بثورة .. و ..

أخيرا .. قرب الميكرفون من شفتيه ، وهمس بحزن :

— نعم .. سأروى لكم كل شىء :.

.. اليوم .. فجر اليوم :. الجمعة :. كان كل كائن حى فى المدينة الجديدة .. يستمتع بنومه .. فاليوم أجازة الأسبوع كما نعرف .. وعادة نصحو جميعاً فى وقت متأخر ..

.. والتاريخ كما تعلمون هو ١٢ من شهر يناير .. والسماء تنذرنا بأمطار غزيرة بدأت فى السقوط فعلا منذ لحظات .. ومع ذلك .. فسوف تدعون مساء اليوم ، إلى حفل رائع أعد له جيداً ، فى ساحة المدينة الجديدة.. ولن تضايقكم الأمطار .. لأن شركات ومصانع المدينة أعدت سقفا ضخما وملونا لتغطية الساحة .. كما تعاقدوا مع ألمع نجوم الفكاهة والاستعراض لتسليتكم كما يجب ..

— تعرفون طبعاً المناسبة السعيدة لهذا الحفل ؟! ..

– لا بأس .. دعونى أذكركم بها ..

– إنه العيد الأول لإنشاء مدينتنا الجديدة « مدينة طيبة الجديدة » ..

– وهو أيضاً الافتتاح المنتظر لبئر البترول والغاز .. الذى يبدأ الآن نقل إنتاجه الضخم فى أنابيب ضخمة إلى القاهرة والإسكندرية عبر مسافة مائة ألف كيلو متر من هنا إلى تلك المدن البعيدة ..

– وقد شاركت محطتنا للتليفزيون الأهلى .. بالتعاون مع شركات البترول ، وسخانات الشمس .. وغيرها من المؤسسات ، أعدت بذكاء شديد كل ما سيجعل الحفل .. حدثا تاريخيا بحق ، وسوف يحضر كل أهالى مدينتنا الجديدة إلى هذا الحفل الذى يليق بدخول مدينتنا الجديدة هذه إلى رحاب التاريخ المعاصر .. كما سوف يرقص كل شبان وبنات ، ورجال ونساء شارع مكة الذى أسكن به .. أنا أيضاً .. لكن ..

– هناك شخص واحد .. لن يشارك فى الاحتفالات .. هو .. الآنسة الجميلة : توحيدة رضوان رضوان .. وتشتهر بيننا باسم تاتا ! .. تاتا الفاتنة ! .. تاتا الساحرة ! ..

– تسألون : ومن هى .. تاتا ؟! ..

أقول لكم : فتاة جميلة .. تعيسة .. فقيرة رغم ثراء والدها .. هبطت مدينتكم منذ شهور .. فكشفت كل الأقنعة .. لأن الكل كان يريدها .. ويراها رمزا لحلم طال تأجيله .. أو .. حلم عاد فجأة بعد أن كان قد ضاع .. وفى النهاية تآمروا بصورة أو بأخرى على قتلها ! ..

– تسألون : وكيف كان ذلك ؟ ..

أقول لكم : إن الإنسان منا لا يحتمل أن يعيش مع شخص يحرص على العفة والفضيلة ! .. لأن الانسان منا لا يحب أن يشعر بضآلته إلى جوار غيره ! ..

– وتاتا .. فضحت جشع البعض .. وأظهرت أحقادهم وضعفهم .. وغدرهم بكل الأقرباء والأصدقاء ، و .. وأنهماكهم فى سباق جهنمى لامتلاك كل شىء .. كل شىء .. وشعارهم : الغاية تبرر الوسيلة !..

و ؟؟؟

– يؤسفنى .. أن سوء الحظ ، جعل مدينتنا هذه تشهد أول حادث قتل .. أو محاولة للقتل .. فى أول حفل للمرح يقام لنا .. لك ! .. شىء مؤلم حقاً ! ..

– فقد كان عشرات من الرجال والشبان – وأنا واحد منهم .. نتوقع أن تخرج تاتا من عزلتها التى اشتهرت بها منذ وصلت إلى هنا مع والدها .. صاحب مطاعم « تاتا » وأن تشاركنا الغناء والرقص فى حفل الليلة .. فهى والحق يقال : جميلة الجميلات فى مدينتنا الناشئة هذه ..

– وأعتقد أن كثيرين هنا يشاركوننى الرأى فى أن تاتا .. تستحق لقب ملكة جمال « طيبة الجديدة » ؟ ..

– وبالمناسبة : هل اتفقتم على اختيار اسم آخر للمدينة ؟ ! ..

لا أخفى عليكم أن الاستفتاء الذى أعلنا عنه من محطة التليفزيون الأهلية ، لاختيار اسم آخر للمدينة .. كان بغرض دفعكم للتفكير فى جمال اسم « طيبة الجديدة » .. ومحاولة التعلق به ، وخاصة أنه يضع – مع أسماء الأحياء والشوارع – وكلها أسماء دينية واضحة ، لوحة تاريخية رائعة ، تحيى فى وجدان الوافدين إلى هنا قصة الجذور العميقة لامتزاج الحضارات على أرضنا ..

— لكن .!. ثقوا أن تاتا .. كانت أحق الفتيات بلقب ملكة طيبة الجديدة .. فما أقل المنافسات .. ومعذرة لكل الحسناوات .. لكن ..

.. ها هى كما ترون معى .. خلف حاجز زجاجى .. ترقد بين الحياة والموت .. ومازال علاجها مستمراً منذ الساعة الثانية بعد منتصف الليلة إلى الآن .. وبدون توقف ..

— والدكتور الجراح لطفى السيد حسين، والممرضة الماهرة سعاد يونس الشهيرة فى شارع مكة باسم «بنورة السمراء» .. وهما أمامكما الآن .. يواصلان إخراج الرصاصات من جسم تاتا ..

— ابتهلوا معى إلى الله .. لتتم النجاة لحسناء تاتا .. و ..

— بعد هذا الإعلان .. أعود لكم ببقية القصة ..

***

أثناء إذاعة الإعلان ، تحدث مدير المحطة بانفعال شديد مع بهاء .. طلب منه أن يحرص على إثارة الغموض .. فى حديثه .. وأمره بأن يهتم باظهار الجوانب المثيرة .. وقال بخبث :

— اجعل المشاهدين يزدادون توترا .. واهتم بعواطف السيدات ، وحرك خيال الأطفال .. حتى لا يغيروا المحطة لأن المحطة الأخرى المنافسة غيرت برامجها وأعلنت عن مباراة كرة قدم بين أضخم ناديين فى المدينة .. أتفهم يا بهاء .. لا تجعل المشاهدين يفلتون منك .. كن أكثر إثارة وكن أكثر متعة .. وقدم المعلومات بتطويل وتشويق هه .. ومن ناحيتى أنا .. اطمئن .. كل من فى المحطة رهن تصرفك .. فأنا قررت استضافة أكبر

الأخصائيين وأشهر الخبراء فى شئون الحب .. والصداقة .. والزواج .. وكل نواحى الحياة الاجتماعية .. وتعاقدت على إذاعة محاضرات قصيرة جداً جداً .. خلال قصتك .. ولدى الآن موافقة عشر شركات كبيرة على تغطية مصاريف وأجور المحاضرين .. فانتبه لى جيداً .. سأقطع عليك عدة مرات .. وأقدم محاضرة فى دقيقة واحدة تحت رعاية الشركات المعلنة .. أعطنى كل تفكيرك .. وكن يقظاً ورقيقاً .. فلدينا ضربة العمر .. وسبق لا مثيل له .. حادث القتل الأول فى المدينة الوليدة .. طيبة الجديدة .. تشهد على الطبيعة من خلال محطتنا تفاصيل التفاصيل .. ستندباى يا بهاء .. أنت على الهواء .. ستندباى .. المشاهدون معـــك يا بهـــاء .

***

قال بهاء :

ـــ مازلنا سيداتى وسادتى ، نترقب .. ما يحدث .. أو ما قد يحدث خلف الجدار الزجاجى .. ومازالت تاتا تحت رحمة السماء .. وفى انتظار النجاة .. و ..

ـــ دعـــونى أحدثكم عن كميات الدم التى تبرع بها كل من هم هنا فى المستشفى .

ـــ السيدة فهيمة حسب النبى .. صاحبة معصرة العنب المعروفة .. تأتى على رأس قائمة المتبرعين .. أكثر من مرة .. وابنتها الممرضة بنوره ، تملأ أكياس الدم من ذراعى أمها .. وأظن أن من حقها أن تقول لكم : لماذا هى تفعل ذلك ؟ !

الكاميرا الآن على وجه السيدة البدينة .. أم بنوره .. هى الآن أكثر شحوباً .. وضعفاً .. لكنها فخورة بعملها .. وبابنتها ..

— لماذا تتبرعين بدمائك أكثر من مرة ؟ ..

— تاتا صديقة ابنتى بنوره ..

— فقط ! ..

— وتسكن بجوارنا ..

— تعرفينها جيداً .. ؟!

— أعرفها منذ جاءت مع والدها رضوان رضوان إلى طيبة الجديدة ..

— ماذا تذكرين عنها الآن ؟ ..

— هى جميلة .. من النوع الذى يلهب الرجال .. أردت إقناعها بالعمل عندى فى المعصرة .. أومصنع الزبيب .. أو راقصة ومغنية فى الملهى الليلى .. رفضت .. هى مغرورة .. لا تحدث أحداً منا ..

— ربما هى فى عزلة داخل نفسها ! ..

— لابد أنها عملت شيئا مخجلا ! ..

— كيف ؟ ..

— أنا امرأة .. والمرأة لا تنطوى على نفسها إلا إذا لحقها العار ! ..

— ومع ذلك تتبرعين بدمائك لها ؟ ..

— إنقاذها أهم من كل شىء .. فهى لم تعش حياتها بعد .. وخسارة فى الموت ! ..

— كلامك هذا سيغضب الشيخ عبد الراضى ..

قالت فهيمة حسب النبي :

– أدعو الله من قلبي أن يهديني إلى الصواب ذات يوم .. إنه غفور رحيم..

– والآن . . .

ثم توقف بهاء . . واتسعت نظراته . . وشحب لونه أكثر .. ونظر مع أم بنوره ، عبر الجدار الزجاجي .. إلى تاتا . . وإلى الطبيب .. وإلى الممرضة .. وإلى الكاميرا . .

– كان صوت تاتا يصلهم الآن عبر أجهزة الاستماع الحساسة . . كانت تلهث . . تتنفس . . تهمس بكلمات تائهة . . بحروف مهزوزة .. غامضة . . ثم ترابطت بعض الحروف . . تجاورت بعض الكلمات . . قالت :

– بـ . . بهاء . . يو . . . سف . . أنا . . بحب بـ بـ . . حبك . . قتلني . . بهاء ! . .

وخرج الطبيب من غرفة العمليات شديد الإرهاق .. وهرول إليه بهاء .. صاح به الطبيب :

– دعني ألتقط بعض الهواء . .

– لكن . . هل يجوز نقل حديث تاتا الآن إلى المشاهدين ؟ ! ..

وقف الطبيب صارخاً :

– كيف ؟ ! . . إنها ما زالت في غيبوبة البنج . . والتصنت عليها الآن . . خيانة لكل القيم الإنسانية .. أتفهم ! . .

أسرع بهاء يقطع الاتصال بغرفة العمليات . . وهو يقول للمشاهدين .

– آسف . . فكما سمعتم بأنفسكم لا يصح أن ننصت الآن لحديث تاتا . . فهى ما زالت تحت تأثير البنج . . و . .

اقترب منه المحقق ، فأدار إليه عدسة الكاميرا ، وهو يقول :

– دعونا الآن نتحدث قليلا عن سر التحقيق فى الحادث . . ومعنا الأستاذ المحقق ، وأعتقد – آنساتى سيداتى سادتى – أن كلا منكم يود لو شاهد تحقيقاً حقيقياً ، فهو بالتأكيد يختلف عن التحقيقات التى نشاهدها فى المسلسلات وفى دور السينما .. الآن .. لدينا سؤال للسيد المحقق :

– هل توصلتم إلى الجانى .. أو الجناة ؟ ! . .

ابتسم المحقق البدين ، وهو يواجه عدسة الكاميرا ، وقال فجأة ، وفى ثقة كاملة :

– أكيد سوف نتوصل إلى معرفة الجانى أو الجناة . .

– متى . . وكيف ؟ . .

– عندما تتحدث أنت يا سيد بهاء يوسف .

– أنا ؟! .. ولماذا أنا بالذات ؟ . .

– لأنك بالذات . . فى حاجة إلى معجزة لتثبت لى براءتك من محاولة قتل تاتا رضوان . .

– أنا ؟ ! . .

– نعم أنت . .

– كيف ؟ ! . .

– هذا ما أريد أن أعرفه منك . . حالا . .

حدق بهاء فى وجه المحقق ، بفزع : . وملأ وجهه الشاحب . . شاشة التليفزيونات . . و . .

. . انقطع الإرسال فجأة من المستشفى . . وظهر وجه مدير المحطة ، وبجواره المذيعة الحسناء . . وتبادلا النظرات فى دهشة . . وأسى . . وتبادلا الكلام :

— شيء مثير حقاً . .

— ومؤلم جداً . .

— ونحن على ثقة من براءة مذيعنا المعجزة بهاء يوسف . .

— لكن . .

— إلى أن نعاود الإرسال من المستشفى . . لنواصل معاً التحقيق بكل أسراره الغامضة . . إليكم هذه المحاضرة — لمدة دقيقة واحدة .. للدكتور الشهير عبد السلام سلامة . . خبير علم النفس . . والمحاضرة تحت رعاية شركة الفولاذ .. وشركة ... ومصانع .. وهيئة .. و ... و ..

— وجه د . عبد السلام سلامة يملأ الشاشة .. يبتسم وهو يقول :

— « إن المدن — فى مختلف بلدان العالم المتحضر والمتخلف — أصبحت.. وبلا استثناء .. ظاهرة غاية فى الإزعاج .. فأنا من العلماء الذين يصفون المدن القديمة . . والمدن الجديدة . . بأنها — كلها — كلها — بالوعة تحوى كل فساد الطبيعة البشرية . . وأنا — مثلكم فى هذه اللحظة — ومنذ هاجرت إلى هنا سعياً وراء أحلامى المؤجلة — أرى مثلكم تماما — أن مدينتنا هذه تشبه فوهة بركان يطفح بقوى عمياء وضالة وضائعة . . لأننا جميعاً نفتقد التآلف الحميم . . ونعجز عن التوافق الإنسانى .. ونعيش فى حالة تصادم حادة مع أنفسنا ومع

الآخرين . . وتحولنا - تلقائياً - إلى مجموعة من الجزر المعزولة . . ونحن فى معاهدنا العلمية المتطورة ، نواصل البحث عن علاج لهذه المأساة . . وإن كنت أوصى - مبدئيا - بضرورة الذهاب إلى حفلنا القومى الليلة . . لكى نشترك فى بعض اللهو والمرح .. فربما ساعدت البهجة على النجاة من هذا الفساد البشرى ! . .

تختفى صورة المتحدث المتخصص من الشاشة ، لتفسح المجال للمذيعة الحسناء ، وهى تقول بعذوبة مبالغ فيها :

- والآن . . نلتقى بصاحب مصانع « . . . » . . الذى وقعت جريمة القتل بالقرب منه .. سيحدثنا عن انطباعه .. وعن أثر الجريمة على العاملات فى مصنعه الـ . . . . .

***

بعد سلسلة من الإعلانات المثيرة . . المتلاحقة . . والتى أعدها مدير المحطة بعناية مذهلة . . ظهر بنفسه على الشاشة وقال بثقة زائدة :

- أعرف أنكم تتلهفون على معرفة ما حدث لمذيعنا المحبوب بهاء . . حالا ستعرفون . . بل إنه سيواصل معكم القصة بنفسه .. وفى حالة - لا قدر الله - إذا ثبتت إدانته ، فسوف تتفق محطتكم هذه ، مع الجهات المسئولة على أن يواصل بهاء تقديم تفاصيل الحادث المثير بنفسه حتى النهاية ! -

وارتفع صوته فى نغمة استعراضية مثيرة ، وقال :

- معكم بهاء يوسف . . والتحقيق معه . . والبرنامج كله تحت رعاية شركات ومصانع ... و ... و ... و ... فإلى هناك .

ظهر وجه بهاء يوسف لمدة ثانية واحدة .. ثم انقطع الإرسال فجأة .. وبسرعة على الشاشة .. لمعت عينا المذيعة حسناء .. وقرأت من ورقة :

— الإنسان منذ أقدم العصور .. مخلوق مؤمن .. أو فى حاجة إلى الإيمان.. فالإيمان هو الذى يضبط سلوكه .. وينظم علاقاته بالناس وبالسماء أو الأرض.. أو مصادر الخيرات من حيوانات ونباتات ..

وكما أن الإنسان قد ترقى فى مفهوماته كلها .. فقد ترقى أيضاً فى معتقداته الدينية والعلمية و .. ولايفزعنى إيمانك بشىء ، ولكن يزعجنى ألا تؤمن بشىء ، وألا يكون لك ماتسمو به عن الحيوان ..

إن أناسا لايؤمنون بشىء ، لهم وحوش تمشى على قدمين .. ووحوش تتربص بالإنسانية .. وسوف تقضى عليها إذا ...

فجأة رفعت حسناء عينيها الساحرتين عن الورقة .. واجهت الكاميرا .. زادت ابتسامتها دفئا وإثارة .. قالت . « نسيت الاعتذار لكم عن انقطاع الإرسال عن زميلى بهاء يوسف . وإلى أن يتم إصلاح العطل الفنى .. أنا معكم أسليكم » .. و ..هذه ..كانت بعض كلمات من رأى للأستاذ المفكر الذى شغلته أحداث بلدتنا « طيبة الجديدة » .. فكتب معلقا عليها .. فى جريدته الصباحية .. وقد أنهى رأيه .. بقوله :

ـ « إن وجود الفساد .. وانطلاقه .. فى أزقة وحوارى وشوارع بلدتنا الجديدة .. يؤدى إلى تمزيق ... سلوك البشر .. كما أن إعلان الفساد عن نفسه ومروره بغير عقاب يؤدى إلى رفض مطلق لكل ماهو ...

هنا ظهر وجه مدير المحطة ، متصنعا الحرج ، وقال فى رقة :

ـ آسف ياعزيزتى حسناء .. وأسفى أشد للمشاهدات والمشاهدين .. فقد فشلت حقيقة فى إقناع أية شركة أو أى مصنع .. أو هيئة .. بالصرف على برنامجنا هذا .. « نجوم الفكر .. ماذا قالوا فى الصحف » وأنا معكم أنها محنة سخيفة .. لكننى كمؤسسة أهلية قامت أصلا على أجور الإعلانات .. ولكننى أيضا .. أعدكم باستمرار البحث عن معلن يقبل أن نقدم مثل هذا البرنامج الفكرى المفيد .. تحت رعاية شركته أو مصنعه .. و .. إليكم نجمتكم « حسناء » و .. ماذا عندها للترفيه عنكم .. لحين انتقالنا إلى المستشفى لنواصل حادث المفاجآت مع .. تاتا .. وبهاء يوسف و ..

.. اختفى وجه مدير المحطة عن الشاشة ، وعاد وجه حسناء .. كانت تطوى أوراقها .. وهى تقول :

ـ من برامج التسلية .. أقدم لكم أطرف شخصية جاءت إلى بلدتنا الجديدة .. أنه ساحر الشجرة .. أو .. راهب الشكره .. أسفه : الشجرة.. أو .. الرجل تحت الشجرة .. وهاهو بنفسه وشجرته .. فى هذا اللقاء.. تحت رعاية مصنع الخشب الملون .. ومحلات الأثاث لصاحبها .. .. ومحلات البخور .. والمشروبات الروحية .. ومصنع المعسل لصاحبه ..

ـ الكاميرا على وجه رجل شاحب طويل .. نحيل الجسم .. لامع العينين .. شعره ينساب حول رأسه ، ليختلط بشعر شاربه وذقنه ..

وقميص مفتوح عن صدر بارز العظام وبنطلونه الجينز باهت له لون التراب عند مؤخرته وركبتيه .. ذراعاه مفرودتان .. ثم تحيطان بشجرة خضراء.. وبين أوراقها تتدلى قطع من قماش ملون .. بشتى الألوان .. كما تتدلى من فروعها عدة أوراق معلقة بخيوط أو بقطع من السلك .. والأوراق تهتز كلما داعبتها الرياح الخفيفة .. ويظهر مكتوبا على وجهها بيانات تشتمل على أسماء أشخاص مفقودين .. أو غائبين أو وافدين حديثا .. وعناوين مساكنهم أو اللوكاندات التى نزلوا بها .. و ...

يظهر وجه حسناء إلى جوار وجه عاشق الشجرة .. تسأله بلهجة لاتخلو من رنة إثارة ودهشة :

– صديقى .. صديق الشجرة .. إسمك بالكامل ؟! ..

عيناه تلمعان أكثر .. لسانه يبلل شفتيه الجافتين .. كأنه صائم منذ عام .. عروق رقبته تهتز .. شعره يتطاير فيصنع هالة سوداء حول رأسه .. يقول :

– الاسم .. لايهمك .. ولايهم أى أحد بهذه البلدة ! ..

– إذن .. من أنت ؟! ..

– أنا .. أنا الشخص الوحيد الذى جئت إلى هذه البلدة بكل جذورى .. حملت معى كل جذورى ..

وجه المذيعة تملؤ الدهشة .. وهى تسأل :

– بمعنى ؟! ..

– بمعنى أننى يوم قررت الهجرة إلى طيبة الجديدة .. حملت معى كل جذورى الخاصة .. فى عربتى نصف النقل .. لففت جثة أبى .. وجثة

أمى .. حفرت قبرهما ولممت عظامها ولففته فى ثوب من الحرير الأخضر .. وعطرته بعصير الليمون .. والياسمين .. وحملت أيضا شجرتى بجذورها .. وماحول جذورها من طين وتراب .. وجئت إلى هنا ! ..

ـ شيء مثير حقاً .. لكن لماذا ؟! ..

ـ حتى لا أتوه عن نفسى فى هذه المدينة وما حولها من صحارى .. وخلاء .. وما بها من أناس بلا جذور ! ..

ـ شيء مدهش .. مثير .. ثم ؟! ..

نظر إليها بدهشة .. وقال :

ـ ثم ؟ .. ثم ماذا يا .. آنسه أم مدام ؟! ..

ـ زوجة .. أنا زوجة .. من عامين .. بالتحديد بعد افتتاح محطتنا للتليفزيون الأهلى بأسبوع واحد .. صرت زوجة لمدير المحطة ..

ـ ولديك أطفال ؟! ..

ـ لم أنجب .. ولايبدو أننى سأفعل ذلك قريبا ! ..

ـ شيء مؤلم . اسمعى ياسيدتى . ما رأيك فى زيارة إلى شجرتى هذه ! ..

ضحكت حسناء .. وقالت :

ـ كنت سأسألك .. عن حقيقة مايشاع عن شجرتك المباركة .. هل حقاً هى ...

قاطعها الرجل بثقة ظاهره :

ـ يشاع ؟! .. إنها حقيقة .. حقيقة ياسيدتى ..

وقد آن لى أن أعلن للملأ .. أن شجرتى تحقق السعادة لكل من يقصدها بقلب مخلص .. ونفس خالية من كل شر ..

— كيف ؟ ! . :

أشار الرجل بأصبعه المرتجفة إلى الشجرة : . إلى فروعها والشرائط الملونة المدلاة بين أوراقها .. واللوحات الورقية المعلقة بأفرعها .. وقال :

— كل من فقد أسرته . . وعلق هنا ورقة باسمه وعنوانه . . عثر على أسرته أو على بعض الأحياء منها .. وكل من فقدت الأمل فى الإنجاب .. علقت شريطاً ملوناً .. بين أوراق شجرتى .. وبعد تسعة أشهر بالتمام رزقها الله بولد .. أو بنت .. و .. سأفاجئك بخبر .. كان سرا . وهو.. « وصمت محرجا » . .

— وهو ؟ ! . .

نظر الرجل إلى ركن الاستديو : . وطال صمته . . فظهر وجه مدير المحطة .. باسما سعيداً ، وقال له :

— قل لها السر :. فأنا أعفيك الآن من وعدك بالكتمان ..

زادت دهشة حسناء ، وهى تقول :

— يبدو أنه سر مثير :: ما هو ياسيدى :.

قال الرجل :

— زواجك أنت شخصياً ::

— هل ؟ ! :.

— نعم :. جاء زوجك مدير المحطة إلى ذات ليلة :: صارحنى بحبه لك :: وباح لشجرتى بمتاعبه السابقة مع زوجاته السابقات و :: علق هذا الشريط الأحمر .. و ..

— أهذا معقول ؟ . .

— هذه حقيقة .. زوجك يعرفها و . . .

— لكن .. كيف ؟! ..

ابتسم الرجل الشاحب النحيل .. وقال :

— بالمناسبة .. لا دجل ولا شعوذة فى قصتى .. ومعى ترخيص يسمح لى باستقبال زوار شجرتى .. ويسمح لهم بالإقامة عندها بحد أقصى .. أسبوع كامل .. وبالمناسبة أيضاً .. سأبنى فندقا بسيطا .. أو .. مارأيك .. سأجعله شاليهات صغيرة .. ذلك أجمل وأروع .. وبالمناسبة أخيراً .. ليس فى نيتى .. ولا فى ماضى حياتى ، ولا فى جذورى التى حملتها معى إلى هنا .. أى شيء يشين .. أو يخجل .. هذا للعلم فقط ! ..

قالت حسناء ، وهى تواجه الكاميرا :

— عفوا .. سؤالى محرج .. ولابد منه . .

— وهو ؟ ! . .

— هل تؤمن بشجرة ؟ ! . .

أشار الرجل بأصبعه إلى السماء ، وقال مستنكرا :

— بل أومن بالله . .

— إذن .. كيف تتحقق أمنيات كل من يزور هذه الشجرة ويتبرك بها ؟ ! . .

قال الرجل :

— هل تعرفين سحر الإيمان ؟ ! . . ليس الإيمان بشجرة . . بل الإيمان

بخالق هذه الشجرة .. ثم تركيز تام فى شىء محدد تريدينه .. إنها عملية شاقة ومتشعبة .. لكن الأهم .. أن يبدأها الإنسان وهو صافى القلب.. وقد ترك ذنوبه وشروره .. خلف ظهره .. سألته حسناء بسرعة :

– هل لديك دليل آخر .. غير قصة زواجى بالمدير ؟ ..

قال الرجل :

– أدلتى مبعثرة الآن داخل بيوت بلدتنا الجديدة .. ولست فى حل من ذكر أى منها .. فقد وعدت بكتمان الأسرار .. ثم .. لكن ..

– لكن ماذا ؟! ..

– ربما يحل لى الآن أن أشير إلى حادث تاتا ..

– محاولة قتلها ؟ ..

– بل إلى هجرتها إلى بلدتنا ..

– لا أفهم ! ..

أشار الرجل إلى ورقة مدلاة من فرع بشجرته .. وأدار ورقة بيضاء إلى الكاميرا .. فظهرت ما بها من بيانات .. اسمها .. عنوانها .. وأمنيتها فى لقاء أمها .. أو أى أحد من طرف أمها ..

قال الرجل :

– أعود بك إلى شهور ماضية .. لترى معى كيف جاءت تاتا .. أو توحيدة رضوان .. إلى شجرتى باكية حزينة .. احتضنت الشجرة ، وقالت :

ـ رغم نجاح أبي فى بناء مطاعم تاتا .. الشهيرة هنا .. ورغم أن المال يتزايد عندنا .. إلا أننى أزداد إحساساً بوحدتى .. بغربتى .. أكاد أجن أريد أمى .. لا أعرف أين هى لأذهب إليها .. فهل تأتى هى أو هل يأتى أحد يخبرنى عنها شيئاً .. أريد أن أبكى على صدرها وأروى لها ما حدث لى .. أريد أن أشكو لأمى .. لقد اعتدوا على ابنتك تاتا يا أمى .. فهل تسمعين ، .. هل تدركين الآن بشاعة هروبك منى .. ومن أبى ! ..

قال الرجل :

ـ أظنها كانت أكثر من شكوى فتاة فاتنة .. ومعذبة .. أظنها كانت أيضاً بداية ما حدث لها و ...

سألته حسناء باندهاش :

ـ ومحاولة قتل تاتا الفاتنة ؟ ..

نظر الرجل إلى وجه المذيعة طويلا .. ثم قال :

ـ أولا ... ليس من طبعى اتهام أحد .. وثانيا .. يكفى أن تقرئى معى نصف هذه الأوراق المعلقة بشجرتى .. لتعرفى أن نصف رجال وشبان بلدتنا .. سجلوا فى هذه الأوراق أمنياتهم فى الزواج من تاتا .. أو مجرد نظرة حب منها لهم .. اقرئيها بنفسك ..

واستعرضت حسناء الأوراق .. ورقة بعد ورقة .. ومعها الكاميرا تقدم سطورا واضحة عن أمنيات الرجال والشبان تجاه تاتا .. وكان بعضهم يصرح برغباته الملتهبة نحوها بلا حياء أو خجل .. ويشيد بجسدها .. أو صدرها .. أو ردفها .. و ... احمر وجه حسناء

وهى تطالع بعض الأوراق •• فاستدارت إلى الكاميرا •• وقالت :

– معذرة •• هنا بعض الكلمات التى لا تقال إلا همسا •• فى غرف النوم •• لكن ••

استدارت إلى الرجل •• وقالت :

– ألم تفشل شجرتك •• ولو مرة فى تحقيق بعض الأمانى ؟!

قال الرجل :

– أحيانا تفشل .. لكن بسبب تعجل أصحاب الأمانى ! ••

– هل حدث لك مقالب طريفه مع بعضهم ؟ ••

– بعضهم هدد بذبح شجرتى ..

– تقصد •• اقتلاعها ؟ ••

– أقصد ذبحها ••

و ••

فجأة أقبل رجل مغطى الوجه بلثام أبيض ، وفى يده شعلة من نار •• وصفيحة بنزين و .. أشعل حريقا مروعا فى الشجرة .. فصرخ صاحبها النحيل واندفع يخوض النار •• يحاول إطفاءها بجنون وهو لا يكف عن الصراخ ••• و •••

واجهت حسناء الكاميرا بارتباك واضطراب ••

وقالت :

– ننتقل الآن •• بسرعة •• إلى المستشفى •• لتتابعوا التحقيق فى محاولة قتل تاتا •• وقد أحكى لكم بقية قصة صاحب الشجرة •• المهم الآن أن أحاول مساعدته •• فإلى هناك ! ••

.. أخيراً هدأ بهاء يوسف .. وكف عن ثورته على المحقق .. وجلس يراقب عشرة من أمناء الشرطة .. وهم يتوزعون بمهارة وسرعة حول غرفة العمليات .. بينما خصص اثنان منهم لحراسة بهاء .. وأم بنورة .. والشيخ عبد الراضى .. الذى قال محتجاً :

ــ أفهم من هذا أننا محجور علينا ؟ ..

أسرع المحقق ، يوضح :

ــ عفواً يا سيدى .. إنه إجراء لحمايتكم .. وأنت بالذات يا فضيلة الشيخ تستطيع الانصراف وقتما تشاء ! ..

نهض الشيخ مسرعا ، وهو يقول :

ــ إذن .. يجب أن ألحق بالمصلين .. فعلى أن أمهم فى صلاة الجمعة.. عن إذنكم ! ..

فأسرع المحقق ينبهه :

ــ .. أود أن أراك بعد الصلاة ..

نظر إليه الشيخ بتردد .. ثم قال :

ــ سأعود باذن الله .. فما حدث لهذه الفتاة .. يهمنى .. بحكم الجيرة

فى الشارع .. والمدينة :: و : . أيضاً أود المشاركة فى الرأى : . لعلنا جميعاً نتوصل إلى حل تنقذ به أرواح شبابنا من هذا التهور ! ::

ثم ..

انصرف الشيخ ! . .

وعاد المحقق يواجه بهاء ::

س : أين والد المجنى عليها ؟ ! .:

ج : .... !

س : ماذا تعرف عن ظروف الجريمة ؟ ! :::

ج : ....

س : هل لديك فكرة عن الجانى .. أو الجناة ؟ ! : .

ج : ::.

انهمك بهاء فى إعداد الكاميرا والأفلام ، للتصوير :. وهو صامت ::
قال المحقق :

– أكرر تحذيرى لكم جميعاً : : محاولة قتل الآنسة توحيدة رضوان رضوان : : فى هذه المدينة بالذات .: لأننا – من ناحية – لا نريد أن توجد جرائم فى هذا المجتمع الجديد . : ومن ناحية أخرى :. حدثت جريمة قتل أخرى لها علاقة بما حدث لتاتا هنا ::

اندهش بهاء : .

وشحبت أم بنوره :::

وقال المحقق :

ــ فى حى العجوزة .. على مسافة ألف وخمسمائة كيلو متر من هنا :: عثر رجال الأمن على جثة أرملة شابة تدعى درية عبد السلام ..

صاح بهاء فى ذهول : درية .. قتلت ؟ ! ..

نظر إليه المحقق ، فى ضيق وغضب .. وقال :

ــ لابد أنك تعرف من محطتك .. على الأقل .. أن الأرملة القتيلة .. قتلت فى نفس الليلة بحى العجوزة .. القديم .. وأن شخصاً يدعى « وهيب إسماعيل وهبه ــ الشهير » .. النص وهو أحد عمال معصرة العنب .. عند الست أم بنوره ؟ ! ..

قالت أم بنوره بسرعة وارتباك :

ــ النص ؟ ! .. ماذا جرى له .. العبيط بن العبيطة ::

س : ماذا تعرفين عنه ؟ ..

ح : اختفى من المعصرة منذ أسبوع وخصمت أجرته لأنه تغيب بدون إذن منى .. لكن .. أين هو .. محجوز عندكم ؟ ! ::

قال المحقق :

ــ لقد وجده زملائى .. هناك :: جريحاً بصورة خطيرة :: بجوار جثة القتيلة .. درية عبد السلام .. وقد مات بعد نقله إلى المستشفى بحوالى ساعتين::

قالت أم بنوره :: فى حزن حقيقى :

ــ رحمه الله :: لكن من رماه هناك .. إنه على الدوام كان منكود الحظ ! ..

س : ماذا تعرفين عنه ؟ ! :؟

ج : أصابه شلل الأطفال بعاهات فى يديه..وفى رجولته – لامؤاخذه– وهو أصلا يتيم كانت أمه صاحبتى فى حارة الحوار بالمنصورة .. ثم احترق بيتها ومات أبواه فى الحريق .. وأخذته عندى .. اعتبرته ابنى .. ربيته مع ابنتى بنوره .. لم أحرمه من شىء .. لكنه كان مريضاً على الدوام .. هزيل نحيف .. ونسيت أن اسمه .. وهيب وهبه .. وسميته النص .. لكن .. لماذا رمى بنفسه فى الهلاك ؟ ! .. وكيف تعرف على درية هذه .. أتقول أنه مات .. مات ؟ .. حزنى عليه كبير ! .؟

سجل مساعد المحقق كل ما قالته أم بنوره .. وصورها بهاء كما صور المحقق الذى قال فى لوم شديد .

– ألم أقل لكما .. أن محاولة قتل تاتا رضوان .. يحتمل أن يكون له صلة بقتل درية عبد السلام .. وقتل وهيب وهبه – النص ؟ ! .

وصمت المحقق برهة ، متأملا وجه بهاء ، وأم بنوره ..ثم قال بحزم:

– والآن ؟ ! .. أين والد المجنى عليها ؟ .. وماذا تعرفون عن الظروف التى ربطت بين تاتا .. ودرية .. والنص ؟ .. تكلموا بسرعة .. فقد تجشمت عناء السهر معكم طوال ليلة أمس .. ومن واجبى أن أرد على رسالة زملائى المحققين فى القاهرة .. فهم يريدون معلومات عن وهيب وهبه النص .. وعن .. تاتا .. وعن بهاء .. وعن أم بنوره .. وعن .. الشقى : نور شلاطه ..

قاطعته أم بنوره ، وبهاء فى وقت واحد :

– نور شلاطة ؟ ! ..

ابتسم لها المحقق ساخراً ، وقال بصوت بطيء :

— نور شلاطة :: واسمه الحقيقى — وقرأ من ورقة معه — نور عبدالسلام أى أنه شقيق القتيلة درية عبد السلام :: و :: ماذا تعرفون عنه ؟ .

قال بهاء :

— أذاعت محطتى صورة نور شلاطة عدة مرات خدمة لرجال الأمن :: فهو كما أذكر :: هارب من عدة جرائم ::

قال المحقق مصححاً :

— لم يهرب من التحقيق :: لكنه للأسف .. هرب من السجن :: وما زال مطلوبا .. حيا .. لتنفيذ مجموعة الأحكام الصادرة ضده فى جنايات شروع فى قتل .. وسرقه بالإكراه :: واغتصاب .. و .. ماذا تعرفون عنه .. وهل شاهدتموه هنا ؟ ! ::

قالت أم بنوره :

— سهر مرة أو مرتين عندى :: فى كازينو العنب .. و :: :: أنت يا جناب المحقق :: تعرف ذلك :: فقد كنت موجوداً عندى عندما شرب نور شلاطة وفقد عقله وتشاجر مع الراقصة سمسمة :: وكاد يحرق المحل ::

ابتلع المحقق ريقه :: وقاوم حرجه ، واستدار إلى بهاء :: قائلا :

— أنت بالذات :: يجب أن تساعدنا فى الوصول إلى رضوان رضوان والد تاتا :: وإلى نور شلاطة أو نور عبد السلام :: شقيق دريه عبد السلام ::

فما هى أقوالك .. هل تتعاون معنا .. أم أنك مصمم على تعطيل سير التحقيق وعرقلة العدالة ؟ ! ..

قال بهاء وهو يضبط عدسته على وجه المحقق الغاضب :

ـ أنا ؟ .. أعرقل العدالة ؟ .. كيف ؟ ! ..

صاح المحقق :

ـ من فضلك أريد إجابات واضحة محددة .. أين ..

و .. حدثت حركة مفاجئة داخل غرفة العمليات .. الممرضة بنورة .. صرخت.. ففزعت أمها ، وصرخت مثلها .. ولمح بهاء جهاز القلب يضطرب مؤشره بسرعة مخيفة .. وصاحت بنوره :

ـ مطلوب تنفس صناعى بسرعة .. ونقل دم .. و ...

هرول الطبيب إلى الغرفة ، وخلفه المختصون بالتنفس ونقل الدم .. و .. أخذ الطبيب يدلك قلب تاتا بسرعة .. وانهمكت بنوره فى توصيل خراطيم الدم بالوريد .. و ..

لمع النور الأحمر فى الكاميرا .. وجاء صوت مدير المحطة :

ـ بهاء .. هل تسمعنى .. أنت الآن على الهواء .. لابد أن تقدم للمشاهدين شيئاً مثيراً من التحقيق .. قبل أن ننقل صلاة الجمعة .. هل أنت جاهز .. استند باى ! ..

اعترض المحقق غاضباً :

ـ لكن .. هذا تعطيل مقصود ومتعمد لعملى ..

ابتسم له بهاء .. وقال .. فى مواجهة الكاميرا :

ـ أعزائي المشاهدين •• ترون معي الآن السيد المحقق وتسمعون اعتراضه فما هو رأيكم ؟ ! •• « لحظة صمت » •• ثم •• أدار الكاميرا إلى الجدار الزجاجي •• وفتح أجهزة الاستماع الحساسة •• وقال :

ـ ما زالت تاتا .. نجمة شارع مكة .. وجميلة الجميلات في مدينة طيبة الجديدة .. ما زالت ـ كما ترون وتسمعون .. تحت العلاج .. ويؤسفني القول بأن حالتها تتدهور .. ولكن ...

ـ واجه بهاء الكاميرا .. وأضاف :

ـ كما ترون .. الآن يزداد السباق بين عدد قليل ومتعب وذكي جدا من البشر .. وبين الموت .

ـ إن عمليات نقل الدم مستمرة . .

ـ وتاتا في غيبوبة البنج الكلي .. وقلبها مضطرب .. والتنفس مهدد بالتوقف . . و . .

ـ ليس لدينا أية رسالة منها عما يجري لها .. أو عما تفكر هي فيه الآن .. ليس معنا منها سوى هذا اللهاث الحزين الذي تسمعونه معي ..

ـ ادعوا لها .. وبالمناسبة .. فصيلة دم تاتا هي فصيلة « أ » .. وقد قدم كل منا .. هنا .. كل ما يمكنه من الدم •• وأكيد سيكون الطبيب •• والمصابة ونحن •• شاكرين لكم إذا وصلت إلى المستشفى كميات إضافية من أكياس الدم المعقم •• لكن ! ••

ـ لكن .. لابد أولا من الحصول على ثلاجة إضافية .. ثلاجة ضخمة لحفظ دمائكم الغالية .. وأعدكم بتقديم الشخص النبيل الذي سيتبرع بالثلاجة للمستشفى .. سأجري معه حديثاً عن حياته ومصانعه .. وأحلامه ..

ــ والحقيقة التى أذكرها هنا .. أننا .. على ما يبدو .. كنا فى عجلة من أمرنا .. فقد جهزنا المساكن العصرية .. وزودناها بالسخانات والكهرباء .. ولعب الأطفال أيضا .. لكى يستمتع الرواد الأوائل .. حضراتكم .. بالحياة هنا .. ولكى لا يندموا أبدا على رحيلهم من مواطنهم الأصلية فى ربوع الوادى .. ولكى يزداد حبهم لهذه المدينة الجديدة ..

ــ لكن مجتمعنا الناشىء هنا .. ما زال ينقصه الكثير جدا .. لدينا الجرارات .. المزارع الصناعية المتكاملة .. آبار البترول والغازات .. ومعامل التفريخ .. ومزارع الأسماك .. ومطار حديث .. وخط سكك حديد سريع .. ومدينة ملاهى .. ودار للسينما .. ومسرح .. و ..

ــ لكننا لم نتم بعد مشروع المستشفى ..

ــ إنه أحدث مستشفى فى العالم كله .. لكن أجنحته لم تستكمل بعد .. بقى الكثير لنفعله لإكماله .. .

ــ وهذا وعد من محطتنا .. باسمكم جميعاً .. سنقيم تمثالا لكل مواطن يتبرع بشىء للمستشفى .. سنجعل حديقتها الفسيحة معرضا تاريخيا يروى للأجيال قصة كل متبرع للمستشفى .. هذا وعد ..

ــ وأظنكم تصدقوننى الآن .. فحديقة الجامعة عندنا تزدان بتماثيل عشرين شخصية كريمة منكم .. هم عدد الذين تبرعوا لاستكمال معامل ومدرجات الكليات المختلفة للجامعة .. والآن ..

ــ لدى اقتراح بسيط . ما رأيكم فى أن الشخص الذى يحمل إلى المستشفى الآن ثلاجة جديدة لحفظ الدم .. وعدداً من أكياس الدم المعقم .. ما رأيكم

ا، نهديه ميدالية ذهبية .. سنصنعها له من إنتاج أول منجم للذهب يجرى الإعداد لافتتاحه الآن فى أعماق صحرائنا . إنه نبأ سار جدا .. لم أستطع الاحتفاظ به لنفسى ..كيف عرفت ؟! ..

ـ إنها محطتنا الأهلية .. ورجالها النشيطون جدا .. والمنجم كان يعمل فى عصر الملك « مينا » فى العصور القديمة . ثم اندثر تحت الرمال .. ولكن أبناء مدينة طيبة من الخبراء أعادوا الكشف عنه ، ونحن على وشك الدخول فى منافسات أسواق الذهب .. و .. لكن ..

ـ لكن هذه قصة أخرى .. سأرويها لكم فيما بعد .. هه ..

ـ يبدو أن أدعيتكم من أجل تاتا .. قد استجابت لها السماء .. فالله سبحانه وتعالى يهبها الآن القدرة على التنفس بانتظام .. فجهاز القلب أمامكم الآن يشير إلى عودة النبض مرة أخرى .. شكرا لله ..

ـ ها هى تاتا تحرك رأسها .. أسمعها تهمس بشىء ..أنصتوا معى .. لهاث .. لهاث مستمر .. زفرات .. تنفس مضطرب .. علامات واضحة على رغبتها فى الكلام .. حروف متباعدة .. ضعيفة ..كلمات غامضة .. خافتة .. الحروف تتقارب .. قليلا .. صوت تاتا .. لا .. ل .. ميم .. م .. ها .. طا .. بو .. يا .. أمى .. ما .. ما .. ذا .. خ . . . خيا .. نه .. بابا . . نها .. نهاجر ررر ... بهاء .. حب ... ك ! ..

أسرع بهاء قائلا :

ـ أظن ـ أيها السيدات والسادة . . يجب أن نتذكر تحذير الطبيب لنا ـ من قبل . . من أنه لا يصح أن ننقل على الهواء أقوال إنسانة تعانى من آثار البنج . .

— وأظن أن الواجب يحتم علينا أن نكون شرفاء .. لحظة من فضلكم ..
إن ما يبوح به المريض وهو تحت البنج .. سر مقدس ... تذكروا هذا ..
سأفصل اتصالنا بداخل الغرفة .. حتى لا نقع تحت طائلة القانون و ...

استدار بهاء إلى الكاميرا ، وقال للمشاهدين :

— اعذرونى .. فلكل منكم أسراره الخاصة جدا ..

وأنا أغلقت أجهزة التصنت على غرفة العمليات فورا .. واطمئنوا .. فكل منا معرض لهذا الموقف — حاول أن يضحك — وربما لهذا السبب يخشى بعضكم — مثلى تماما — من إجراء عملية جراحية .. لأن البنج سيجعلنى أبوح بما لا يسر بعض الناس .. عفوا .. وإلى رسالة أخرى مع تحيات بهاء يوسف ومحطة التليفزيون الأهلية و ..

— آه .. التحقيق .. والاتهام المحتمل بالنسبة لى ... أذكره .. سأوافيكم بأسرار مذهلة .. لكن .. بعد صلاة الجمعة .. فإلى المسجد .. فى رعاية الله ..

***

نظر المحقق فى ساعته ، وقال فى توتر :

— نصف ساعة أخرى .. يجب أن أحضر اجتماعا طارئا مع زملائى فى دارة التحقيق .. لإنهاء هذه القضية السخيفة .. معذرة .. فأنا مرهق .. والطائرة الهليكوبتر .. تستعد لنقلى إلى الاجتماع .. هه .. قل لى يا سيد بهاء :

— هل ترى الهليكوبتر دائرة فعلا فى حديقة المستشفى ؟ .

— أراها فعلا ..

ـ إذن أجب على سؤالى :

ـ ما هى العلاقة بين درية عبد السلام .. وبين تاتا .. ..

ـ وماذا تعرف عن ظروف الحادث ؟ ..

ـ وكيف تفسر لنا وقوع الجريمة فى الشارع وأمام بيتك أنت بالذات ؟ ! ..

ـ ولماذا لم تطارد الجانى .. أو الجناة ؟ ..

ـ وكيف وصل وهيب النص .. إلى العجوزة .. على مسافة ألف كيلو متر وأكثر .. ومن الذى دفعه لقتل درية عبد السلام .. ولماذا قاومته هى وأصابته لدرجة الموت ؟ ..

ـ وأين والد تاتا .. أين رضوان رضوان ..

ـ وما هى العلاقة التى ربطت بين رضوان رضوان .. وبين نورشلاطه الهارب من العدالة ؟ ! ..

ـ وما هى ..

لكن المحقق صمت فجأة .. وتفرس فى وجه بهاء يوسف .. وصرخ فيه غاضباً :

ـ المفروض فيك .. أنك إنسان متعلم .. وتعمل فى حقل الإعلام .. ولا يصح أبدا أن ترفض التعاون مع المحقق ..

قال بهاء :

ـ إننى .. وأجهزة الإذاعة الخارجية ومحطتى الأهلية نبذل أقصى الجهد للتعاون معك .. وإذاعة نشاطك أولا بأول .. ليكون المشاهدون على بينة من التحقيق لحظة بلحظة ..

فزاد غضب المحقق ، وقال بحزم :

— أحذرك من إثارة غضبي . وأذكرك . بأنني أعتبرك — حتى الآن على الأقل — مجرد شاهد . ومن يدرى . فقد أغير رأيي عندما تتجمع بعض الخيوط ..

— .... !

قال المحقق فى زهق :

— لماذا تصر على التهرب من أسئلتى ؟ ! .. أريد جواباً محدداً من فضلك ..

ثم جلس المحقق مرهقا .. وهو يقول فى حزن :

— يجب أن تساعدونى للابقاء على نقاء مدينة طيبة الجديدة .. يجب أن تظل خالية من اللصوص والخارجين على القانون .. دعنى أساعدكم يا بهاء .. دعنى أساعد أهل المدينة على الحياة فى طمأنينة .. لقد ضحيت بمنصب كبير فى العاصمة . . و ضحيت بامتيازات عشت عمرى كله أحلم بها .. وجئت إلى مدينتكم هذه .. لأننى كنت معجباً بروح المغامرة لديكم أنتم أيها الرواد الأوائل الذين هاجروا إلى الصحراء ، و .. صدقنى يا بهاء .. لقد تخيلتكم عمالقة . . تجبرون الصحراء على الاستسلام لفؤوسكم .. و .. أنتم بالفعل كذلك . . فمن يصدق أن مدينة كاملة . . ومصانع ومزارع . . ومطار . . وجامعة . . وتليفزيون .. وصحف .. و . . و . . لقد فعلتم المستحيل حقاً . . وحققتم ما فشلنا جميعاً فى تحقيقه من قبل . .

لكن — يا بهاء — افهمنى . . أنتم يجب أن تظلوا مثالا نقياً لجذب المزيد من المهاجرين إلى هذه المدينة . . تعدادكم هو ٦٩٠٠ نسمة . . ويجب أن يكون ٦ ملايين فورا .. ودعنى أقولها لك بصراحة . .

ــ أنا شخصياً أخاف من انهيار الحلم الذى شدنى إلى هنا .. أخاف أن اكتشف أنكم كلكم مجرد وهم سخيف .. وأنت تعلم بلا شك أنها ستكون مأساة إذا صحونا فجأة لنجد أن كل ما تباهينا به وضحينا من أجله ، وعرفنا المرارة بسببه .. ليس إلا وهما ..

ــ لا .. لا يا بهاء .. أنا ضحيت بالكثير لأعمل هنا وأحفظ لكم الأمن والأمان .. ولن أسمح لأى مجرم بأن يهدم حلم العمر كله .. لا أريد أن أصحو على كابوس قذر .. ولا أريد أن أكون زبونا دائماً فى ملهى أم بنوره .. أتفهم ..

ــ لكن .. المهمة صعبة وشاقة وقذرة أحيانا .. لأن بعض المهاجرين الشجعان الذين اقتحموا الصحراء هنا .. وأنشأوا حضارة جديدة هنا .. كانوا للأسف ، مصابين بجرثومة الفساد ..

ــ نعم .. بعضكم حملوا معهم جراثيم الجريمة بكل ألوانها وأشكالها إلى هنا .. لكن هذا يجب ألا يستمر ..

انهمك بهاء فى تركيز الكاميرا على وجه المحقق .. واستبدل الأفلام بسرعة ، ليصور ويسجل كل ما يقوله ..

وزادت المرارة فى صوت المحقق ، وهو يضيف :

ــ لكل هذه الأسباب .. أطلب مساعدتكم جميعاً .. لكى أضع يد العدالة على هؤلاء المجرمين .. إنهم مرضى .. وسينشرون وباء الانحراف هنا .. ولكن .. دعونى أجعل طيبة الجديدة نموذجا ومثالا .. دعونا نجعلها الحلم .. الذى شقينا بسببه .. و .. أكرر .. إن حدوث محاولة قتل ــ لأول مرة هنا ــ مأساة . وذهاب شخص من هنا ليقتل إنساناً فى أحد أحياء العاصمة .. مأساة أبشع .. لأن معنى هذا أن المدينة التى تفاخرنا بأنها خالية من اللصوص .. قد صارت مسرحا للقتل .. ومعملا لتوريد القتلة .. وهذا لن يستمر .. أتفهم يا بهاء .. أجب فورا على أسئلتى ! ..

— ٧ —

انقطع الإرسال فجأة : : وأطل وجه المذيعة الحسناء : : على الشاشة :: وقالت بصوتها الدافىء :

— انظروا معى جيداً إلى هذه الصورة — ثم ظهرت صورة طفل يلمع الذكاء فى عينيه . . هل تذكرونه ؟ ! . . « لحظة صمت » . . لقد أذعناها من قبل . . مع نداء إنسانى.. وجائزة مالية ضخمة لمن يعثر عليه:: وعلى فكرة الجوائز مقدمة من شركة . . ومصنع ... و ...

صمتت المذيعة فجأة . : ثم عادت فجأة تقول بشكل مثير :

— والآن .. إليكم الطفل الذى أحزن قلوب أهل طيبة لمدة أسبوع :: إنه أول طفل يختفى فى ظروف غامضة .. ويعود فى ظروف مريبة :: إنه أول طفل فقدته بلدتنا الحبيبة طيبة الجديدة . . وها هو . . يعود إلى أسرته . . لكن . . كيف اختفى : . وكيف عاد ؟ ! : : سؤال شغل رجال الأمن ببلدتنا لمدة سبعة أيام كاملة ..وخاصة أنه أبلغ عن أول عصابة خطف أطفال تظهر فى بلدتنا و ...

لقد استطعنا بمجهود خرافى ، من مدير محطتنا .. وحده .. أن نقدم لكم كل أبطال هذه القصة الغامضة المثيرة :. تحت رعاية سجارة .. .. و: كاوتشوك ماركة .. وسيارات :: ومقاولات الـ ...

وتحركت الكاميرا قليلا .: وتركزت على وجه الطفل الذى ابتسم فى ذكاء ممزوج بخبث ظاهر .: وقال :

— أنا اسمى أحمد .: عمرى عشر سنوات .: تلميذ بمدرسه رفاعه الطهطاوى .: فى سنة رابعة ابتدائى .:

سألته المذيعة :

—كيف اختفيت يا أحمد ؟ !

قال : ركبت الدراجة ودرت حول البنت تاتا كثيراً .: رفضت أن تأخذ الشوكلاته منى ! .: .

.. غادرت منزلنا فى صباح يوم ١٢ ديسمبر الماضى .. من أسبوع تقريبا . . وبدلا من الذهاب إلى المدرسة .: استأجرت دراجة من محل العجلاتى وسافرت بها إلى أقاربى فى الجيزة .: كان لازم أسيب البلد كلها وأهرب بعيداً عن أمى وأبى والبنت تاتا .:

— لكن المسافة أكثر من ألف كيلو متر بيننا وبين الجيزة ؟ ..

نظر أحمد إلى المذيعة الجميلة باندهاش شديد لسذاجتها .. وقال :

— أصل أنا بركب عجل كويس .. وكل البنات معجبة بى .. إلا البنت المفعوصة تاتا .. لكنى سأريها من أنا .. وستجرى ورائى وترجونى أن أحبها وأعطيها الشوكلاته ! ..

— وبعدين ؟ ! ..

— فى الطريق هاجمنى لصان خطيران .: أرادا سرقة الدراجة منى .. لكنى قاومتهما بشراسة وعنف .. وصرخت مثل طرزان .: فجاء فلاح

لا أعرفه وضرب اللصوص وعرض على المبيت عنده تلك الليلة .. وفى الصباح شكرته وعدت أواصل طريقى إلى أقاربى . . لكننى عندما مررت بمحطة الاكسبريس .. وتوقفت اشترى سندوتشا .. فوجئت بالطبال هناك.

ومن هو هذا الطبال يا أحمد ؟ ! ..

– اسمه حسن المغنواتى .. رجل أفراح ومغنى وعنده راقصات جميلات.. ويعمل فى ملهى أم بنوره كل ليلة ..

– هه ؟ ! ..

– فوجئت به يسألنى عن صحة والدى .. وأخى .. أصله صديق العيلة .. وبعد ذلك سألنى رايح فين يا أحمد .. فقلت له ذاهب لخالى وعمى فى الجيزة . . قال لى . . لكن الطريق طويل ومليان ذئاب . . وثعالب و . . قال إنه سيصحبنى فى رحلتى .. وأنه مثلى يحب الرحلات والمغامرات ..

وصمت الطفل قليلا وشرب نصف الزجاجة المثلجة التى قدمها له مدير المحطة .. وجعل ماركة مصانع المثلجات تظهر واضحة أمام الكاميرا وهو يبتسم .. ويقول :

–معذرة يا أحمد المحطة دفعت الكثير للبحث عنك .. ولا بد أن نعوض ما صرفته أنا والعاملين بالمحطة .. من هذه الإعلانات .. ثم إنك صرت نجماً محبوبا .. وسأعطيك نسبة من الإعلانات المذاعة خلال قصتك ..

سأله الطفل بخبث :

– وأين الشوكلاته.. والمسدس ؟ ! ..

قالت المذيعة :

– ها هى ..

قال مدير المحطة بلباقة :

– كلها هدايا لك من شركة . . . . ومصانع . . . .

قال أحمد : أكمل حكايتى ؟ !

قال المدير : طبعاً .. تفضل ! ..

سأله أحمد :

– حتدفعوا كام ؟ ! ..

نظر مدير المحطة للمذيعة .. وإلى الجمهور .. وقال برقة :

– جيل عجيب ! . . سأعطيه ١٠ ٪ . من حصيلة الإعلانات المذاعة خلال قصته .. وأظنه مبلغ سيكفى لشراء دبابة لأحمد .. وليس دراجة .. سأجعل والده يسهم بهذا المال فى إنشاء مصنع جديد للدراجات والبمبونى والبالونات وإنتاج قصص المغامرات للأطفال .. أظن هذا يكفى ..

قال أحمد :

– موافق ! ..

سألته المذيعة :

– وبعد ؟ ! .. صحبك الطبال ؟ !

– وفى منتصف الطريق عمل معى حركة نذالة ! ..

– كيف ؟ !

– لأ .. عيب أقولها .. لكن أنا أعطيته درس فى الأخلاق .. والمهم.. لما وصلنا الجيزة .. أخذنى إلى مخبز آلى جديد .. وقدمنى لصاحبه .. وتركنى معه بحجة أنه سيعود بعد ساعة .. يتفق خلالها مع راقصة جديدة لملهى أم بنوره .. ثم يعود ليصحبنى إلى خالى .. وصدقته للأسف ! .

– للأسف .. لماذا ؟ ! ..

– لأن صاحب المخبز قال أنه قد استأجرنى من الطبال .. ثم ضربنى وأجبرنى على العمل مع عشرين طفلا آخرين .. عرفت أنهم خطفو مثلى بواسطة الطبال المغنواتى ! ..

– وماذا فعلت يا أحمد ؟ !

« أذيع إعلان مفاجىء لشركة ملابس الأطفال .. وإعلان آخر عن المصاصات .. وإعلان ثالث عن مسلسل الطفل المعجزة قاهر الوحوش فى الغابات وفى الفضاء .. وعاد وجه أحمد إلى الشاشة وهو يقول :

– وبعد أسبوع .. هربت .. وتركت العشرين طفلا هناك .. كنت محبوساً معهم فى المخبز .. وانتهزت فرصة إرسالى لشراء غذاء لهم .. وأخذت النقود .. وجريت إلى محطة الأكسبريس .. وعدت إلى طيبة الجديدة ..

تدخل مدير المحطة قائلا فى عتاب :

– لا تنس يا أحمد أن المحطة أرسلت لك رجال الأمن لإنقاذك .. لقد دفعت أجر الطائرة الهليكوبتر من جيبى الخاص .. فما يهمنى هو أن أسعد والديك المسكينين بعودتك .. وأن أطمئن كل الأمهات والآباء أننا فى محطتى هذه ، نبذل مالنا وجهدنا لحماية كل أطفال طيبة الأبرياء أمثالك ..

ضحك أحمد .. وقال بخبث :

ـ المهم .. قدرت أعود .. والحمد لله ! .. لكن بعد عذاب .. ومغامرات .. ورحلة مثيرة جداً ..

قالت المذيعة :

ـ والآن .. إليكم قائد قوة الشرطة التى أعادت أحمد إلى أهله .. لنعرف .. ماذا فعلوا لإنقاذ العشرين طفلا الآخرين من المخبز ؟ ..

قال المسئول عن القضية :

ـ لقد تم تشكيل فريق للبحث ضم عدداً من رجال الأمن الأذكياء .. وقمنا بعمل مسح شامل لكل المخابز فى المنطقة .. وذلك لأن الطفل أحمد فشل فى أن يدلنا على عنوان المخبز الذى سجن فيه كما قال .. لكننا لم نصل إلى نتيجة .. إلا أنه خلال البحث تم الاستدلال فعلا على لافتات إنتخابات قديمة إلى جوار لافتات لفيلم سينمائى .. فى ميدان الجيزة .. وأكد لنا أحمد أن المخبز قريب من هذه اللافتات لكننا لم نتوصل إلى أى مخبز فى الميدان أو بالقرب منه .. أقصد لم يتعرف أحمد على المخبز الذى سجن به .. و ..

ـ ماذا فعلتم بعد ذلك ؟ ! .

ـ كان هذا هو أول الخيط .. الذى كشف لنا كل الحقيقة .. « ظهر إعلان مفاجىء لسجائر طيبة الجديدة .. وملهى أم بنوره .. ومصانع المتفجرات .. والجرارات .. وفرقة للرقص العصرى .. ووجه بهاء يوسف ، وتاتا فى غرفة العمليات » وقال مدير المحطة :

ـ مازلنا فى انتظار الانتقال إلى المستشفى لنتابع معكم قصة تاتا ..

والتحقيق مع المشتبه فيهم لكشف لغز الجريمة الخطيرة المثيرة .. أما الآن .. فاليكم رئيس فريق البحث .. وقصة الطفل أحمد ..

قالت المذيعة : وما هى الحقيقة يا سيدى وراء اختطاف .. وإعادة الطفل أحمد ؟ . . لقد شغل المدينة كلها لمدة أسبوع !

قال الرجل :

– لقد اعترف لى أحمد بأن قصته كلها وهمية !

دهشت المذيعة وكررت بانبهار :

– وهمية ؟ ! .. كيف يا سيدى ؟ .

– قال أنه لجأ إلى هذه القصة لكى ينجو من عقاب والديه له . . لأنه هرب من الدراسة .. وسافر بالدراجة إلى الجيزة .. وحده .. دون إذن منهم . . والطريق موحش وطويل .. أكثر من ١٣٠٠ كيلو متر .. و . . .

– وما هو تحليلكم لهذه المأساة اللا إنسانية ؟ ! ..

ونظر إليها الرجل فى دهشة .. ثم صحح لها .. بلباقة :

– إنها مجرد مشكلة إنسانية .. تحدث لبعض الناس ..

– وما هو تحليلكم لها ؟

– إن الطفل أحمد يتمتع بذكاء شديد .. بدليل وصوله بالدراجة من طيبة الجديدة إلى الجيزة مع أن الطريق طويل وشاق . . وما زال أغلب الكبار يجهلونه .. أولا يتذكرون تفاصيل السير فيه إلى نهايته ..

– ثم ؟ ! :.

– ثم .. هناك بعض الدوافع السيكولوجية ، تتحكم فى رغبات هذا الطفل .. وتسيطر عليه بعض النزعات .. حيث إنه يستغل ذكاءه الحاد ، وخياله الخصب ، فى إشباع رغباته لدرجة أنه ابتكر قصة وهمية لاختطافه مستغلا بعض المرتكزات الحقيقية :. مثل معرفته بالطبال المغنواتى فى ملهى أم بنوره .. وصداقة هذا الطبال لوالده وأخيه الأكبر .: ومثل وجود أقارب له فى الجيزة .. وانطلق منها إلى تفاصيل خيالية .. والمدهش أنه لم يترك فى حكايته الوهمية ثغرات على الإطلاق .: فهو يذكر عدد الأطفال المختطفين فى المخبز برقم ٢٠ .. وهى مبالغة منه .: لكنه .. كان ذكيا فى حكايته الوهمية ، لدرجة أنه خلط بين الحقيقة – وهى هروبه من طيبة إلى أهله فى الجيزة – والوهم ..وهو الاختطاف والمخبز والأطفال العشرون .. و.. من هنا كان واجب الباحثين ، الحرص فى تصديق ما رواه أحمد .. واتبعنا معه عملية المراجعة المستمرة :. باعادة طرح الأسئلة كما هى .. كلما استرسل فى روايته الخيالية .. لمعرفة مدى انطباق إجابته السابقة مع إجابته الجديدة على نفس السؤال ..

– عظيم .. ومعنى هذا أن كل العائلات السعيدة فى مدينتنا « طيبة الجديدة » .. يجب أن يطمئنوا إلى وجودكم ساهرين على حماية أطفالهم .. من أى عبث أو اختطاف فى المستقبل .

قال الرجل : هذا واجبنا .. لكن .. على الآباء والأمهات أن يسارعوا بتطوير معاملاتهم لأطفالهم .. ليقللوا من متاعبهم النفسية .. فالطفل أحمد.: وراءه متاعب من هذا النوع .. و ..

– انقطع الإرسال فجأة .. وقال المدير : نعود حالا إلى قصة تاتا :

– لكن ما هى جريمتى بالتحديد ؟..

– أريد أقوالك بوضوح !

– هل أستدعى المحامى ؟ !؟:

– هذا حقك الذى كفله الدستور .. و ؟:

فكر بهاء لحظة .. ثم وضع أفلاماً جديدة فى الكاميرا ، وضبطها على وجه المحقق .. وحرص على أن يظهر هو أيضاً فى الكادر .. عندما يجلس أمام المحقق .. ثم ضغط زر التشغيل .. وعاد إلى مقعده فى مواجهة المحقق .. وقال بهدوء :

– أنا رهن إشارتك ..

وجلست أم بنوره تتابع ، وإلى جوارها جلس الشيخ عبد الراضى بعد أن عاد من الصلاة .. وخلفها وقف بعض أمناء الشرطة .. وبالقرب من المحقق جلس مساعده يسجل ما يسمعه ..

س : الاسم بالكامل ؟ ..

ج : بهاء الدين يوسف على يوسف .

س : محل الميلاد . . ورقم البطاقة الشخصية ؟

ج : رقم البطاقة : ١٢٨٤٨ مركز دكرنس .. ومولود فى قرية منية النصر . . إحدى قرى هذا المركز ..

س : السن ؟ ..

ج : ٢٧ سنة ! ..

س : ماذا تعرف عن المجنى عليها تانا رضوان ؟

ج : كانت تثير الأحلام فى رأس وقلب كل إنسان .

س : حتى أنت ؟ ! ..

ج : حتى أنا . . فجمالها — كما أظنك لاحظت — يفوق الخيال ! ..

س : وماهى علاقتك بها ؟ ..

ج : هى نفس علاقتى بكل أحلامى ! . .

س : فسر كلامك ؟ !

ج : أى شاب فى مثل سنى .. لديه أحلام كثيرة .. ومن أحلامى .. أن أحب فتاة . . وأن تحبنى هى . . بنفس القدر . . بنفس الصدق . . بنفس الأشواق . . لأتزوجها . . ويكون لنا بيت بسيط . . يشع فيه الدفء .. دفء عينيها .. وصدق لسانها .. وجمالها الأخاذ ..

س : وما هو المدى الذى وصلت إليه العلاقة بينكما ؟

ج : إلى نفس المدى الذى تصل إليه الأحلام ! . .

س : ماذا تقصد ؟ ..

ج : أقصد أن بعض الأحلام .. تظل للأبد عسيرة المنال .. وتاتا .. للأسف .. كانت بالنسبة لى هى .. الحلم الذى كتب عليه التأجيل ! ..

س : من فضلك .. كن واضحا .. كم مرة تقابلتما ؟

ج : مرة واحدة .. للأسف ؟ ..

س : لا أفهم ! .. ماذا تقصد ؟!..

ج : أقصد .. أننى منذ رأيتها لأول مرة .. واللقاء بيننا مستمر .. متصل .. حتى عندما لا نلتقى ! ..

س : أين ومتى .. وكيف حدث ذلك اللقاء الأول ؟ ! ..

ج : فى مطعم والدها .. مطعم تاتا .. هكذا كتب بخط عريض لون على مدخله .. مطعم تاتا .. لصاحبه رضوان رضوان .. لكن .. مذرة .. إن اللقاء تم قبل ذلك .. يوم كنا نتعلم معا فى المدرسة لابتدائية ..

س : كل منا له ذكريات طفولة .. و .. لكن دعنا الآن نصل إلى ما يهم القضية .. كيف فكرت .. ولماذا .. فكرت .. فى دعوتها للرحيل إلى هنا ؟ ! ..

ج : قبل رحيلها إلى هنا بفترة طويلة إلى حد ما ..

س : كيف كان ذلك ؟

ج : يوم ضربها والدها رضوان .. لكن أرجوك لا تسألنى عن السبب الذى جعل والدها يضربها ..

س : هل ضربها بسبب علاقتك بها ؟

ج : لا . .

س : وهل ضربها فقط .. أم هددها بالقتل ؟ ! ..

ج : لا يصح الحديث عن هذا الأمر .. قبل أن أحصل على موافقة تانا . . .

س : ما هذا ؟ ! . . هل تعود للمراوغة وعرقلة التحقيق ؟

ج : أبداً . . لكن الدستور - كما تعلم - يحمى الحياة الخاصة .. لكل شخص ! ..

س : هناك سؤال عاجل .. يجب أن ترد عليه فوراً ..

ج : تحت أمرك .. ما هو ؟ ! . .

س : لماذا حدث الاعتداء على تانا رضوان أمام بيتك أنت بالذات ؟!

ج : لأنها تسكن فى نفس البيت .. أنا أقيم فى الدور الأول . . وهى تقيم مع والدها فى الدور الثالث ..

س : وأين والدها ؟ ..

ج : لا أعلم ! . .

س : متى رأيته آخر مرة؟ ..

ج : منذ .. منذ شهرين تقريباً ! ..

س : على وجه التحديد ؟ ..

ج : لا أذكر .. لكنه اختفى منذ مدة ..

س : لماذا ؟ ! ..

ج : مرة أخرى : أرجوك الانتظار حتى تفيق تاتا .. وأرى ما إذا كانت ستوافق على أن أجيب على مثل هذا السؤال أم لا ..

س : لمصلحة تاتا .. وللكشف عن الجناة .. يجب أن تجيب ؟

ج : معك حق .. لكنني أراها تفيق الآن .. وها هو الطبيب .. دعنا نجرب .. ربما استطعنا الحديث إليها ! ...

و .. صمت المحقق .. حانقا .. لكنه أسرع مع بهاء إلى الطبيب .. الذى سمح بدخولهما إلى تاتا .. لمدة دقيقتين فقط .. حرصا على حياتها ! ..

عانقت عيناه .. عينيها .. احتضنت يداه .. أصابعها .. قبلها فى شوق .. وقال .. والدموع تخنق صوته المرتجف :

— الحمد لله .. قولى أنك ستعيشين يا تاتا ..

هزت رموشها فى حب .. وأضاءت شفتيها ابتسامة خاطفة .. وقالت .. فى ضعف :

— أنت مرهق يا بهاء .. اهتم بصحتك ! ..

ضحك لها .. وقال :

— سأحكى لك الكثير عن الليلة المثيرة .. لكن بعد ..

قطع المحقق حديثهما متسرعا ، وقال :

— مسموح لنا بدقيقتين فقط ..

نظرت إليه تاتا باندهاش .. أسرع يقدم نفسه :

— أخبرينى .. من هو .. أو من هم .. الذين حاولوا قتلك يا آنسة تاتا .. ؟ .. قولى كل شىء .. لأنهى هذا التحقيق وأسلم الجناة للعدالة..

قالت تاتا :

— بهاء يعرف كل شىء ..

قاطعها بهاء :

– أنا ؟ ! . .

قالت : قل له كل شيء : .

– لكن . : :

استدار المحقق . . وضع يده على ذراع بهاء :: وقال موجها حديثه إلى تاتا :

– يبدو أن الأستاذ بهاء يريد الحصول منك على توكيل رسمي :. ليتكلم ؟ . .

قالت تاتا : . في ضعف وحزن :

– لابد أن يعرفوا كل شيء يا بهاء : : وكفى ما حدث ! : .

قال بهاء :

– إنك ما زلت تحت تأثير البنج :: يستحسن أن نؤجل بحث الأمر لحين ::

قال المحقق :

– لابد من إنهاء الأمر بأسرع وقت ممكن : :

ثم استدار إلى تاتا وسألها :

– هل تعرفين دريه عبد السلام ؟ : :

– أعرفها . : لكن : : ما دخلها بما حدث لى ؟ : :

قال المحقق :

– لقد قتلوها أمس ! ! . :

شهقت تاتا . . وبكت :. واضطربت مؤشرات أجهزة القلب والتنفس ::

و : : صاحت الممرضة بنوره غاضبة :

– عادت للخطر . : دعوها من فضلكم •

ودخل الطبيب لإنقاذ تاتا . .

بينما دفع المحقق بهاء أمامه بعنف وقال :

– أنا مضطر لاحتجازك فورا . . حتى تتكلم ! . .

ثم أمر بتشديد الحراسة على بهاء . . ومنعه من مغادرة المستشفى !

قال بهاء .. معترضا فى ضيق :

– لا حق لك فى احتجازى ! . .

قال المحقق فى ضيق أشد :

– من حقى .. ومن حق المجنى عليها .. ومن حق المجتمع هنا .. أن أتخذ كل الإجراءات التى تسهل لى الوصول إلى الحقيقة وبأسرع ما يمكن . . أتفهم ؟ ! . .

ثم نظر إلى ساعته ، وعاد ينظر إلى مراوح الطائرة الهيليوكبتر الدائرة فى حديقة المستشفى .. وقال بقلق :

– سأعود سريعا .. وسنرى .. هل ستصر على مراوغتك . . أم أنك ستتكلم .. وسوف تتكلم .. وسترى ! . .

ثم هرول خارجا ، بعد أن تأكد من دقة الحراسة على بهاء . .

لحق به صوت أم بنوره .. متسائلة :

– وأنا ؟ .. هل أعود إلى مصنعى ؟ !

نظر إليها .. ثم إلى الشيخ عبد الراضى . . وقال :

– ممكن .. لكننى قد أحتاج إليكما فيما بعد .. و . . .

بسمل الشيخ عبد الراضى ، وقال فى أسف :

– كثيراً ما قلت لك يا بهاء .. أنت شاب ممتاز . . وكان عليك أن تسخر ذكاءك وبرنامجك الشهير هذا فى نشر دعوة الإيمان بين المشاهدين .. لكنك ..

قال بهاء ، وهو يغير أفلامه ويركز العدسة على وجه الشيخ عبد الراضى .. ووجه أم بنوره . .

– أنا جزء من هذه الآلة . . ونحن – هى وأنا – نعمل بالضغط على زرار . . ومحطتى أهاية . . يهمها الربح الوفير . .

قالت أم بنوره :

– يظهر أننا انفضحنا ! . .

قال الشيخ :

– الله موجود على الدوام يا أم بنوره .. وما علينا إلا أن نتوب إليه .. وهو غفور رحيم . .

قالت أم بنوره :

– أعدك بالتوبه الكاملة . . عندما أبنى مستقبلى .. فأنا وابنتى لا أحد لنا فى هذه الدنيا . .

– الله موجود . . وكلنا فى رحمته ! . .

– لكننى لابد أن أطمئن على مستقبل بنوره . . أزوجها فى حفل يهز . البلد كلها وأرتب لها المال الذى يكفيها مدى الحياة . .

– الله يدبر كل شىء ! . .

– سأتوب إليه .. وأحج إلى بيته المحرم إن شاء الله . .

– متى يا أم بنوره ؟! . .

تنهدت وقالت : هو وحده يعلم ! . .

قال بهاء :

ـ أكيد .. كلنا معك يا شيخ عبد الراضى .. فالإيمان هو طوق النجاة الوحيد . . الأكيد والمضمون فى هذه الحياة الجهنمية . .

ـ إذن دعنا نجرب إقناع محطتك بتخصيص نصف ساعة يوميا .. تشاركنى فيها الدعوة إلى الخير .. مثلا .. لدى مشاريع مثل : دعوة الشباب والشابات إلى مناقشة صريحة حول معتقداتهم لكى أحاول ـ بفضل الله ـ تنقيتها من الشوائب .. مارأيك ؟!

قال بهاء : فكرة خيرة ولاشك .. لكن مدير المحطة عندنا سيطلب أولا .. الإعلانات ..

ـ إعلانات .. فى الدعوة إلى الله ؟!

قال بهاء ساخراً :

ـ هو لايذيع شيئا إلا إذا كان مدفوع الثمن .. أو تحت رعاية من يدفعون ؟ ..

قال الشيخ :

ـ لسوء الحظ .. ليس لدينا فى هذه المدينة .. أوقافا للصرف على أمور المسجد ! ..

قال بهاء : يمكنك الاتفاق مع إحدى الشركات لكى تتبنى معك الفكرة ! ..

قال الشيخ .. كاظما غيظه :

– كل أصحاب الشركات والمصانع هنا .. لديهم فكرة مبالغ فيها عن صحتهم النفسية والعقلية .. بل هم جادلونى كثيراً فى ذلك .. ويصرون على أن أحاول أنا الدعوة للإيمان .. وسط حفلاتهم الصاخبة التى يقيمونها للعمال والعاملات كل أسبوع .. للترفيه عنهم ! ..

قالت أم بنوره :

– فكرة ذكية .. لما لاتجربها ياشيخ عبد الراضى ؟!

قال الشيخ ، وهو يبتلع غصة ألم :

– سأركب كل صعب فى سبيل الله .. وهو المستعان ..

ثم نهض فجأة ، وابتعد غاضبا ..

لحق به بهاء وقال :

– سأحاول إقناع مدير المحطة .. بتقديم المساعدة لك .. ثق أننى أحاول .. ومن يدرى ! ..

و ...

عاد بهاء حزينا ، تحت نظرات يقظة من حراسه ..

وقال لأم بنورة :

– هل ترين أن أقول للمحقق .. كل شىء ! ..

شحب وجهها .. وقالت فى حذر :

– أخفض صوتك .. فالحراس يسمعونك ! ..

خفض بهاء صوته قليلا .. مع أنه كان يعلم أن أجهزته هو .. تسجل كل شىء بالصوت والصورة .. فالكاميرا دائره بدون توقف .. وقال :

ـ إن تاتا ما زالت في خطر .. وربما ـ لاقدر الله ـ تموت .. فلا داعي لإثارة كل الماضي .. إننا بذلك نشوه .. حياتها .. إن كنت لها حياة .. وهي عانت مايكفي ! :

قالت أم بنوره :

ـ لو أن رضوان ظهر ! . .

قال بهاء :

ـ هل تظنين أنه هو الذي حاول قتلها ؟!

ـ ولم لا ؟ ..

ـ أنه أبوها ..

ـ لكنها أعادت إليه العار الذي جاء هاربا منه إلى هنا ..

ـ و .. وهيب النص .. ماكان يصح أن ترسلينه إلى درية ؟

قالت أم بنوره .. في همس :

ـ تعرف أنها إبنة زوجي .. كانت تريد نصيبها في معصرة العنب .. وهي لم تبذل حبة عرق واحدة في المال الذي جمعته هو والمصنع من عرق جسدي وضياع إيماني .. ثم .. هي التي غدرت بتاتا .. وأرسلت عنوانها هنا إلى أمها .. وعشيقها المجنون !؟

قال بهاء :

ـ الغريب ؟ ! . . تعرفين أن ظنوني اتجهت إليه بادىء الأمر .. فهو جاء من أجل تاتا .. حية أو ميتة .. لكنه اختفى منذ شهر ..

قالت أم بنوره :

– تعرف أنه اختفى فى دارى أسبوعاً .. لكنه لا يمكن أن يقتل تاتا ؟

– كان يريد ما لديها من أوراق ومستندات ليفوز هو وأمها بكل ثروة رضوان رضوان . .

– لكنه باح لى بأنه يريد الزواج من تاتا .. وبذلك يفوز بجسدها الشهى .. وكل الثروة من سلسلة مطاعم رضوان .. و ..

– هذا سبب معقول للقتل إذا فشل فى إقناع تاتا بالزواج منه ! ..

– لكنه أنقذها من نور شلاطة .. هل نسيت ؟ !

صمت بهاء محيرا .. وثقلت رأسه .. فهو لم ينم منذ انفجرت الطلقات خلف نافذته ليلة أمس .. تثاءب .. أعطته أم بنوره بعض الحبوب المنبهة .. وطلبت من ابنتها كوبا من القهوة لبهاء ، وشايا بلا سكر لنفسها .. ولاذت بالصمت ! ..

قال بهاء أخيرا :

– أتذكرين يا أم بنوره .. لقد جئنا إلى هنا ومعنا أحلام بحجم السماء والأرض . . لكن . . شىء مؤسف أن نكتشف فجأة أننا نعيش فى عالم لا يقدم لنا سوى الوهم والخيال .. والألم الرهيب ! . .

قالت أم بنوره :

– أصاحك بأنى اكتشفت هذا من قبلكم جميعاً . .

قال ساخراً :

ـ ولهذا حولت حديقة المصنع إلى ملهى ليلى ..

قالت :

ـ لا علاج للإنسان منا سوى الضحك والمتعة ..

قال بهاء ، وهو يشعل سيجارة أم بنوره ، ثم سيجارته :

ـ أخشى أن نكون قد أصبنا بالفجيعة والجنون !

قالت :

ـ النور الأحمر فى الكاميرا يناديك . . فكف عن هذه الخطرفة .. وانتبه لعملك . . فما زال أمامنا الكثير لنحققه .. رحمها الله أمك .. كانت تصغرنى بخمس سنوات . . لكنها كانت حكيمة . . آه . . كانت خير جارة لى . . زمان ! . .

أسرع بهاء إلى جهاز الاتصال بالمحطة ، فسمع صوت المدير . . يهدر بسرعة :

ـ أين أنت يا بهاء . . هل أعدموك . .

اسمعنى جيدا . . ستكون على الهواء بعد دقيقتين . . أتفهم . . لدينا إعلانات هامة يجب أن تذاع خلال إذاعتك لقصة الفاتنة تاتا . . هه . . انتبه لى . . لا أريد أن ينصرف المشاهدون إلى المحطة المنافسة . . فهى تذيع لعبة القمار بعد ربع ساعة . . وعلينا أن نحتفظ بالمعجبين والمعجبات بك . . أتفهم يا ولد ؟ . .

فكر بهاء بسرعة .. قال لنفسه أنه كان يجب أن يظل قانعا بعمله فى الجريدة الصباحية . . محرر الحوادث وهو على مكتبه . . ولكنه اعترف بأنه ظل عاجزاً عن جمع المال اللازم لعلاج أمه . . حتى ماتت . . وظل عاجزاً عن

إعداد نفسه للزواج . . ولم يكن له أى رصيد فى البنك : . وأن تاتا كانت على وشك الضياع منه .. وأنه .. كان لابد أن يعمل فى هذه المحطة . . ولابد أن يرد فوراً :

— مفهوم ياسيدى :. المحقق سافر حالا :: سيعود بعد وقت قصير .: ليستكمل التحقيق معى أنا وبقية الشهود :. لكن لدى بعض الأفلام لما تم حتى الآن من تحقيقات .. وتتضمن لقاءات مثيرة مع المجنى عليها .. ومع الشيخ عبد الراضى ومع أم بنوره والمحقق طبعاً .: و ::

— إذن . . استعد . . ستند باى . . أنت على الهواء . :

ويبدأ بهاء يواجه الكاميرا : : ويبوح للمشاهدين ببعض خواطره . . تمهيدا لعرض أفلامه المثيرة عن القضية والتحقيق وتاتا و . . .

قال :

— إن الإنسان دائمايبدأ..ولكنه لايعرف أبداً كيف ينتهى أومتى يتوقف..

: : وأذكركم : : بأن بطلتنا الفاتنة . . تاتا . . هبطت ذات يوم على هذه المدينة . . فكشفت بجمالها المثير ، وبعفتها الرائعة . . الكثير من الأقنعة و . . .

فجأة : : صرخت أم بنوره . : واستدار بهاء . . وأحس بأنه سيفقد حياته إذا تأخر لحظة واحده عن الحركة . . فقفز للامام بسرعة . . وارتمى على الأرض . : فأخطأته طعنة السكين التى يقبض عليها رضوان رضوان . . و . :

بحثت أم بنوره عن الحراس . . فوجدتهم منهمكين فى مشاهدة الأفلام التى كان بهاء قد بدأ فى عرضها — على جهاز الفيديو كاسيت —

ولكن بعضهم هرول على صياح أم بنوره . . وبسرعة مدهشة . : أخفى رضوان سكينه فى ثيابه : . وابتسم للحراس : . وعانق بهاء وأم بنوره . : وجلس حزيناً . : باكياً . : وقال بصوت مهتز :

ـ كيف حال ابنتى توحيده ؟! . .

تبادل بهاء وأم بنوره ، النظرات .. واتفقا على مجاراته ، اتقاء لشر جديد غامض .. وقالا :

ـ تاتا بخير ! . .

ـ ستعيش بإذن الله ! . .

وعاد الحراس إلى متابعة برنامج بهاء المثير . .

فقال رضوان :

ـ فضحتنى يا بهاء . . وأنت يا أم بنوره .. يا تاجرة الأعراض .. دماؤكما لن تكفى لغسل العار الذى لطخنى .

قالت أم بنوره فى حزم واضح :

ـ لسانك مفلوت .. وسوف تضيع نفسك إذا لم تعد من حيث جئت ! . .

قال رضوان :

ـ أريد ابنتى . .

قال بهاء :

ـ لا تصلح أبا لها .. وآسف .. لكنك بالفعل لم تعد تصلح لأى شىء . .

قال رضوان فى تحد .. وهو يقاوم اهتزاز صوته وجسده النحيل :

ـ أنا . . بنيت أفخم المطاعم هنا .. أنا بذلت هنا كمية من العرق تكفى لإغراق أمثالك من التافهين ! ..

أعطته أم بنوره قطعة أفيون .. فضغها ، وهو يبكى .. ويقول بصوت متحشرج :

— فقدت زوجتى هناك . . فى الريشت . . لكننى لن أتركهم ينهشون تاتا أبدا . . لقد تحملت المرار لكى أبنى لها المستقبل . . والمال . . و . . ظللت صابراً صامتاً هنا . . محتملا كل سفالاتكم من أجلها . . ولن تقتلوها . . لن تأخذوها . . و . . إنهار مخدرا . .

فقالت أم بنوره : يجب ألا يراه المحقق هنا ! . .

لكن بهاء قال :

— على العكس .. بل يجب أن نسلمه للمحقق فور حضوره . .

نظرت إليه أم بنوره فى دهشة ! . .

فأكد بهاء :

— وجود رضوان .. سيضع حلا معقولا لهذه المأساة . .

— لكنه سيورطنا معه ! . .

— لا تخافى . . فقد ندفع بعض الثمن . . ونواجه بعض المتاعب الجديدة .. لكن .. أكيد سيبوح رضوان بكل شىء .. وسيخبرنا بمكان نور شلاطه ..

قالت أم بنوره :

— إذن . . لابد أن أعود إلى مصنعى . .

— تفكرين فى الهرب ! . .

— أبدا . . لكن . . يجب أن أسجل كل ما أملك باسم بنوره . . فمن يدرى ماذا بقى من شرور وغدر . .

. . وأسرع بهاء إلى الكاميرا . . وقطع الإرسال فجأة بشكل أفزع مدير المحطة . . ثم قال :

– سيداتى .. نواصل تقديم الأحداث المثيرة عن أول جريمة قتل فى المدينة الجديدة .. بعد أن أقدم لكم مفاجأة التحقيق .. والد تاتا .. رضوان رضوان .. لقد ظهر الآن .. وسوف أذيع لكم كل ما لديه من أسرار .. لكن .. لكى نكون شرفاء .. وأمناء .. كما تعودنا .. يجب أن أنتظر عودة المحقق .. فإلى ما لدينا من تسجيلات عن الأحداث المثيرة التى فاتتكم .. نتابعها معاً .. إلى أن يحين وقت المفاجأة .. رضوان رضوان .. سيبوح بكل الأسرار .. ولكن .. لحظة .. وأدار الكاميرا على وجه رضوان .. فى غيبوبة المخدر .. ثم .. أدار إلى وجه تاتا .. داخل غرفة العمليات .. كانت تفتح عينيها وكأنها الشمس تولد من المجهول عند حافة الأفق .. و .. عاد بهاء يقول :

– ادعوا لها .. وله .. ولى .. .. و .. ترقبوا المفاجأة .. فإن تاتا نفسها لم تعلم بعد .. ولا المحقق .. أن رضوان قد ظهر فجأة .. ليقول ما خفى من أمر هذه القضية .. أنتم فقط أيها المشاهدون .. تعرفون الآن .. أن حامل الأسرار هنا .. وها هو وجهه مرة أخرى .. طبعاً تذكرونه .. إذا كنتم قد سعدتم فى أيام العطلات بزيارة أحد مطاعمه الممتازة حقا .. لكن .. إليكم بقية الأحداث .. وستكون اعترافات رضوان .. هى مفاجأتى لكم بعد قليل !

قالت المذيعة الجميلة :

— قصص .. وحكايات .. عبر التاريخ القديم .. وعلى امتداد مئات وآلاف السنين .. كانت كلها تؤكد أن منطقة النخيل فى ضواحى بلدتنا : طيبة الجديدة .. والصحارى المحيطة بها .. تتميز بمناخ خاص .. هواء نقى .. ورمال دافئة تمتص الرطوبة من الأجزاء المريضة بالروماتيزم فى جسم الإنسان ..

— وقد هرع الآلاف من بلاد الدنيا للاستشفاء فى بلدتنا .. وصل هذا العام فقط ربع مليون نسمه .. فى رحلات قصيرة .. مدتها يوم .. أو يومان .. فقط .. و .. أتوقع المزيد من السياح عندما نعرض عليهم قصص الرواد الذين أنشأوا هذه المدينة الجديدة الساحرة .. وستكون محبوبتكم « تاتا » قد شفيت أكيد .. و ..

— وقد خصصت شركات .. ومصانع .. عدة ملايين من الجنيهات لبناء شاليهات سياحية فوق ٣٠٠ فدان .. ومشتى ومصيف فى واحة النخيل على مساحة قدرها ١٢٠ فدانا جنوب بلدتنا .. فى اتجاه الشاطىء الشمالى البعيد .. وسيتم حالا افتتاح خط هليكوبتر سياحى جديد تحت رعاية ....

و .. ظهر على الشاشة سرب من الهليكوبتر السياحى .. و .. انفجرت الطائرة الرابعة فجأة .. وتناثر حطامها على شاشة التليفزيون .. وفورا ظهر وجه مدير المحطة وهو يقول :

– لابد أن فى الأمر جريمة تخريب مقصودة .. لحظة .. ابقوا معى على الشاشة .. وفى البيوت .. سأتصل أمامكم حالا بسلطات الأمن فى المطار السياحى الجديد الذى شاركت فى بنائه شركات .. ومصانع و ... أدار رقم التليفون .. وظهر وجه محدثه على الشاشة .. إنه تليفون تليفزيونى ..

روى الرجل المأساة فى إيجاز : ..

– اكتشفنا فى حطام الطائرة السياحية .. بقايا متفجرات .. وبمراجعة كشف السياح الراغبين فى الاستشفاء لاحظنا وجود مجرم دولى .. اشتهر بابتزاز بعض الأثرياء الأجانب .. وأنه جاء وراء إحدى السائحات وهى المليونيرة جاكى .. التى ورثت نصف أسطول زوجها الراحل .. ونصف آبار زوجها الأسبق .. و .. أظن الحادث أصبح الآن واضحا تماما ..

قطع مدير المحطة الاتصال بمسئول المطار .. وعاد إلى المشاهدين بوجهه ليقول : حالا أشرككم مع مذيعنا اللامع بهاء يوسف وبقية المأساة التى حدثت لنا .. و أتعشم أكون عند ظنكم بى وبمحطتنا ! ..

— ١١ —

قال بهاء :

— إليكم هذا التحذير .. فقبل أن تشاهدوا الآن ، اعترافات رضوان رضوان ، أمام السيد المحقق ، أرى من واجبى أن أنبهكم إلى حقيقة هامة .. ربما نسيناها منذ حادث الأمس ..

.. وصمت بهاء لحظة .. ثم أدار الكاميرا إلى وجه المحقق .. ووجه رضوان .. ثم إلى وجهه هو حيث عاد يقول :

— يجب أن نتذكر أن الإنسان لن يقدر فقط على التحمل.. والاستمرار.. بل إن الإنسان لديه المقدرة على أن يسود وأن يثبت إرادته .. إنه كائن حى .. ليس لأنه الوحيد الذى يملك القدرة على التعبير والارتفاع بذاته.. ولكن لأن له روحا ..

.. إن روح الإنسان هى التى تجعله قادرا عل التعاطف والتضحية .. والتحمل ..

والسؤال الآن هو :

— هل كان السيد / رضوان رضوان .. مثالا لهذا الانسان .. أم أنه فقد روحه التى ينبع منها التعاطف والتضحية والتحمل ؟! ..

.. أعتقد أن الإجابة الفورية ليست من حقنا .. فلنستمع أولا إلى أقواله :. «ثم أدار الكاميرا إلى المحقق ورضوان» نظر المحقق إلى الكاميرا.. ثم إلى مساعده .. وأمره بأن يسجل بكل دقة كل ما سيقال .. وأخيرا نظر إلى وجه رضوان الذى يشى بأحزان عمرها طويل طويل .. سأله :

– الاسم بالكامل ؟

– رضوان رضوان عبد الصمد .

– الموطن القديم ؟

– قرية الدراكسه .. مركز دكرنس .. مديرية المنصورة ::

وحاليا .. أو قبيل رحيلى إلى هنا .. كانت هذه القرية قد صارت حيا من أحياء مدينة جديدة اسمها «مدينة النصر» ..

– منذ متى وأنت تعيش هنا .. فى مدينة طيبة الجديدة ؟ ..

– منذ بدأوا فى إنشائها .. قبيل الانشاء بشهور .. بشهرين ..

– لماذا جئت إلى هنا ؟ ..

– لأعوض كل ما فاتنى ..

صمت المحقق لحظة .. ثم قال وهو يقلب فى أحد الملفات التى عاد بها من العاصمة :

– تذكر الغريب عبده نوح .. سائق اللورى ؟!

ازداد شحوب وجه رضوان .. وثقل لسانه ، واهتزت الكلمات بين شفتيه ، وبلل العرق جبهته .. وتساءل :

– كيف عرفتم قصته معى ؟!

قال المحقق :

– لدينا ملفات كاملة عن ماضى كل إنسان رحل إلى هذه المدينة .. والآن : قل لى .. متى رأيت الغريب عبده نوح .. لآخر مرة ؟ ..

بذل رضوان جهدا شاقا ليسيطر على أعصابه المنهارة .. ثم قال :

– قبل أن أهاجر إلى طيبة .. بزمان ! ..

قال المحقق فى تشدد :

– لا .. ولا تحاول خداعى مرة أخرى .. لقد تقابلت معه هنا .. وبالتحديد .. فى مزرعتك .. وفى مطعمك .. وفى مسكنك بشارع مكة ! ..

نظر رضوان فى غضب إلى بهاء .. لكن المحقق قال :

– لا .. بهاء لم يقل شيئا عن هذا .. لكننى أعرف الآن أن الغريب نوح .. زارك هنا .. فلماذا ؟! ..

أنهار رضوان تماما .. لم تعد لديه المقدرة على مقاومة أى شيء .. قال :

– فوجئت به هنا .. ولكننى لم أستطع مواجهته ..

– لماذا جاء ؟ ..

– ليأخذ تاتا إلى أمها ! .. كان يريد ابنتى وأموالى .. وهى حرضته على قتلى .. الحاقدة .. أرادت القضاء على وجودى تماما .. نخرت مركبى .. وقفزت إلى شيطانها .. وتركت لها الديار كلها .. جئت إلى هنا .. لكنها أرسلت عاشقها خلفى ليسرق ابنتى وأموالى ..

س : أريد بعض التفاصيل .: هل رأيت زوجتك بعد أن هجرتك ؟!

ج : هربت مع الغريب نوح .. ذهبت معه علنا .. كنا فى وقت الظهر .. توقف نوح بسيارته اللورى الجديدة .. اشتراها بمالى الذى نهبته الخائنة زوجتى .. هبط من اللورى .. دخل الريست .. ريست تاتا الصغير الذى أقمته على طريق مصر – رأس البر .. أولا .. ثم هربت بزوجتى وابنتى إلى طريق مصر اسكندرية الصحراوى .. لكن نوح وصل إلينا .. و ..

س : هل تشرب شيئا يارضوان ؟ ..

ج : شربت الكثير ..

س : إذن .. اهدأ .. ورتب أفكارك .. ساعدنى للوصول إلى الحقيقة .. فحياة ابنتك تاتا مازالت فى خطر .. و ..

قاطعه رضوان بملل وقال بحروف ممزقة :

– دعنى أتكلم .. أريد أن أرمى أحزانى التى حطمت عمرى .. أريد أن استريح .. ماذا تريد ؟! ..

س : كيف اختطف الغريب عبده نوح .. زوجتك ؟

ج : دخل الريست .. ووضع سكين قرن الغزال عند رقبتى .. ثم أمرها بالذهاب معه .. فذهبت .. واختفيا ..

س : هل رأيت زوجتك مرة أخرى ؟

ج : بعدها بشهر جاءت تطلب ابنتها تاتا .. وتطلب حقها فى أموالى ! ..

س : هددتها بالقتل ؟! ..

ج : هددتها .. لكن نوح كان يقف خلفها .. وفتح قرن الغزال ..

س : وتاتا ؟ ..

ج : طردتها من الريست .. وعندما رفضا .. دخلت إلى البيت .. وعادت بمسدسى القديم ..

س : تاتا هددت أمها و .. الغريب نوح .. بالقتل ..

ج : أرادت أن تطردهما .. وكان يجب أن يتركانا فى حالنا .. ألا يكفيهما العار الذى تسببا فيه .

س : نصل الآن إلى هنا .. فمنذ شهرين جاءك نوح ؟

ج : جاء نوح .. وطلب أن يأخذ تاتا .. ونصيبها فى ثروتى .. فرفضت .. قال أن أمها تريدها .. لكن تاتا رفضت الذهاب معه ! ..

س : هل هددك .. أو هدد تاتا بالقتل ؟ ..

ج : أبداً .. تركنا .. وذهب .. لكننى فوجئت به يسكن فى غرفة على سطح البيت ..

س : أى بيت ؟ ..

ج : بيت أم بنوره .. الذى نستأجر به مسكننا ..

س : هل تذكر الآن ماحدث بعد ذلك ؟

ج : حدث العار الثانى .. المصيبة التى ابتلعت كل أحلامى .. فقد شقيت هنا ليل نهار .. حتى بنيت مستقبلا معقولا لابنتى .. بعت كل أرضى فى القرية .. وبعت الريست .. وجئت إلى هنا .. لأنشىء حياة جديدة ليس فيها عار .. ولا أحزان .. وأسست مطعمى الأول .. تاتا الجديده .. ثم تاتا الثانية .. والثالثة .. استطعت بمساعدة أم بنوره وزوجها الثرى الحصول على

توكيل بفتح كافتيريات طعام ومشاريب .. فى أغلب شركات ومصانع طيبة الجديدة .. وخلال العام الأول ربحت الكثير .. واشتريت مزرعة لتوفير احتياجات مطاعم تاتا .. و ..

— و .. ؟ ! ..

— جاء نور شلاطه .. اللقيط الذى تبناه نور الكبير زوج أم بنوره .. وأعطاه إسمه .. وحاول أن يجعل منه رجلا .. لكنه ظل بلطجيا .. وفى البدء كان نور شلاطه يساعدنى أنا ووالده على تحقيق بعض مشاريعنا .. كان يورد العمال .. أو يخيف من يعارضنا .. لكنه تحول بعد وفاة أبيه إلى وحش .. صار يفرض الأتاوات على مطاعمى .. وعلى مصنع أم بنوره .. وجاءت أخته درية نور عبد السلام .. الإبنة الوحيدة لنور الكبير .. وحاولت أن تقنعه بسلوك محترم لينال حقه من الميراث .. لكنه سخر منها ، واتهمها بالدعارة لأنها تزوجت بدون موافقة والدها .. بل اتهمها بأنها تسببت بهذا الزواج .. فى موت نور الكبير .. فعادت إلى العاصمة مع زوجها دون أن تحصل على حقها فى الأرض .. لكنها هـددت بالحصول على حقها بقوة القانون ..

س : نعود إلى نور شلاطة .. ماذا كنت تريد أن تقول بخصوصه ؟

ج : فرض أتاوات مخيفة على مطاعمى .. وكنت استرضيه ببعض ماطلب .. وأماطله فى الباقى .. وعرضت عليه أن يترك أعمال الليل واللصوصية ويتوب إلى الله .. ووعدته بعمل مربح عندى .. و .. الشيخ عبد الراضى واعظ المسجد .. توسط فى الأمر عدة مرات .. لكن بدون نتيجة ! ..

س : هل هددك أو هدد حياة تاتا ؟ ..

ج : منذ شهرين فوجئت به يطلب الزواج من تاتا .. تصور ؟ ! .. نور شلاطة صاحب السوابق .. والهارب من السجن .. يريد الزواج من الملاك الطاهر .. من ابنتى ؟ ! ..

س : هل لديك شهود على هذا ؟ ..

ج : كل السكان فى شارع مكة .. بل كل أهل مدينة طيبة .. يعرفون المصيبة بالتفصيل ! ..

س : ثم .. ماذا ؟! ..

قال رضوان فى حزن :

— رفضت .. وليتنى مارفضت ! .. لقد هاجمنى فى بيتى .. ووضع قرن الغزال على رقبتى .. وأصر على الزواج من تاتا .. لكن تاتا صرخت .. استغاثت .. فجاء الغريب عبده نوح .. خاطف زوجتى .. وهو يسكن فى غرفة فوقنا مباشرة .. وتشابك مع نور شلاطة .. ونزع سكينه .. ولقنه درسا قاسيا .. أمام جميع سكان شارع مكة .. وغضب نور شلاطة لسقوط هيبة علنا أمام الجميع .. الفضيحة خرجت من حدود .. العقل زارع العار فى حياتى عبده نوح .. ينقذ عنقى من سكين البلطجى شلاطة ! .. والثمن .. ؟.. لابد من ثمن غال .. فهل أعطيه تاتا ليأخذها إلى أمها .. وأهبه نصيبها من ثروتى ، وأهدم كل ما بنيته ؟ ! قبل أن أعرف الحل .. كنت أعرف أننى لن أفرط فى تاتا .. ولن أتنازل عن مليم واحد من مالى .. لأحد .. حتى لنوح أو شلاطة .. وإلا .. فلماذا احتملت كل هذا الشقاء ؟! ..

وكيف أفرط فى أموالى وفى ابنتى ؟! ..

و ..

— ... ؟!

— بعد يومين .. حدثت المصيبة الأكبر .. أغرقنى طوفان العار الثانى .. الرهيب ! ..

س : كيف ؟!

ج : فى وقت الظهيرة .. وفى وسط الشارع تماما ..

وقعت المصيبة .. وليتنى مت قبلها .. ليتنى ! ..

س : ما هى هذه الكارثة بالضبط ؟ !

ج : اغتصاب ابنتى .. وتلطيخ كرامتى .. و ..

زادت حال رضوان سوءاً . . جف حلقه . . جحظت عيناه . . أسرعت بنوره وأحضرت له كوب ماء .. وأعطته حقنه منشطة .. وعاد المحقق يلسعه بالأسئلة :

— هل شاهدت بنفسك حادث الاعتداء ؟

قال رضوان :

— وكل سكان شارع مكة شاهدوا فضيحتى ..

س : وكيف ؟ ! ..

— فى البداية اقتحم باب المسكن . كان عائداً لاسترداد هيبته التى أضاعها الغريب نوح .. أخذ تاتا .. حاولت منعه .. قيد ثلاثة من أعوانه يدى وحملونى إلى الشارع . . ونور شلاطة يحمل تاتا . . وفى منتصف الشارع رماها أرضا . . ومزق ثيابها .. و .. اعتدى عليها ابن الـ ..

سن : نور شلاطة اختفى من يومها .. أتعرف أين هو ؟ . .

.. قال رضوان ، لأول مرة ، بصوت متماسك :

– أعرف أين هو ..

– أين ؟ ..

– عندى ! . .

– فى .. ؟ ..

– فى كهف قديم .. فى قلب مزرعتى .. وسط الصحراء .

– كيف ؟ .. ولماذا ؟ ! ..

– بعد أن اعتدى على ابنتى تاتا .. ذهب ليشرب فى ملهى أم بنوره.. وقد ساعدتنى هذه المرأة برجولة للثأر من نور . . وضعت له مخدرا فى الشراب .. وحملته معى إلى الكهف داخل مزرعتى . .

– لماذا ؟ ! ..

– لأنتقم منه ..

– والقانون ؟ ! ..

صمت رضوان .. لاهثا .. وأشعل سيجارته ..

ثم قال :

– كنت أطعمه أجود الأطعمة . . وأعطيه أجود الشراب . . لكى يظل حياً .. يتلقى عقابى . .

– عقابك ؟ ! ..

ــ نعم .. أنزلت به عقابا رهيباً .. طوال الليل .. منذ شهرين .. وأنا أضربه .. حتى إذا فقد وعيه سارعت أفيقه .. وأطعمه وأسقيه .. وأعالج جراحه ليعيش أطول وقت ممكن ..

ــ همجية ؟ ! .. لكن .. لماذا لم تبلغ النيابة ؟ .. الشرطة ؟ ! ..

قال رضوان :

ــ أتريدون رؤيته الآن ؟! .. هيا بنا لأريكم كيف ثأرت لرجولتي .. وعرض ابنتي .. وكيف انتقمت من نور .. ومن كل الوحوش الذين حطموا حياتي وضيعوا عمري .. هيا بنا .. لأريكم كيف أعذبه .. وأجعله يلعق حذائي و . . .

أمر المحقق باعداد قوة من الشرطة .. وتحرك الجميع .. بعضهم ركب مع بهاء في عربة التليفزيون .. وانطلقوا خارج المدينة ..

كانت الشمس تميل نحو الغروب . . وكانت الأنوار تضاء بكل الألوان .. استعدادا لمهرجان عيد المدينة .. و . . في الكهف القديم . . وسط المزرعة .. تقدم رضوان في ثقة .. متباهيا بنفسه ، قائلا :

ــ سترون بعيونكم نور شلاطة . . الذي هرب من البوليس ومن النيابة ومن السجن . . وأذل سكان طيبة الجديدة .. و .. نهش عرضي سترونه حالا وهو يعوي مثل الكلب .. ويلعق حذائي أمامكم .. انظروا ها هو .. الكرباج . . وأسياخ الحديد المحمية بالنار . . و . . خازوق الخشب المبطن بالكاوتشوك .. وسنبدأ حفلنا بعد لحظة .. انظروا إليه .. ها هو نور الجبار الذي .....

.. وحركه بيديه .. لكنه ظل ممدداً على أرض الكهف الصخرى.. كان ميتا .. مشوها .. فصاح رضوان فى جنون :

–كيف ؟ .. كيف تموت يا كلب دون إذن منى .. كيف ؟ !

.. هل أمرتك بأن تموت ؟ ! .. انهض يانور.. واستعد لحفل التأديب هيا .. فالليلة عندى لك مفاجآت جديدة .. فقد تعلمت لونا لذيذا من ألوان العقاب .. هيا لأريك من أنا .. انهض واستعد فعرض ابنتى يطالب بدمك ..

وظل رضوان يصرخ ويهذى .. وهو يركل نور شلاطة .. ولايصدق أنه مات .. وعندما قيد شرطيان يدى رضوان وأعلن المحقق أن نور شلاطة قد مات فعلا .. ومنذ وقت طويل وأن رائحة الموت تملأ الكهف .. حتى عوى رضوان فى هستيريا وفقد عقله ! ..

***

قطع بهاء يوسف الإرسال .. فى حزن ، قائلا للمشاهدين :

– والآن .. هل نعود إلى غرفة تاتا .. لنرى كيف عالجها الطبيب ؟. وهل ستقدر على الكلام .. أم أترككم لتشاهدوا مهرجان عيد المدينة ، مع زميلتى الحسناء ؟ ! ..

لحظة صمت . .

وجاءه صوت مدير المحطة :

— لا تترك المحقق .. واصل العمل بكل دقة . . وسنقطع الإرسال عندما يبدأ الحفل . . فقد بقيت ساعتان ونصف الساعة وثلاثة دقائق وعشرون ثانية .. على موعد بدء المهرجان . . والآن . . ستكون على الهواء بعد هذه المحاضره الخاطفة . . وإليك البيانات لتعلنها للمشاهدين .. أخيراً .. واجه بهاء الكاميرا ، وقال :

— إلى أن نصل للمستشفى . . إليكم المفكر الدكتور عوض الله . . صاحب الأبحاث الشهيرة ، فى هذه المحاضره الخاطفة : لكن هل نسأل المحقق أولا عن خطته .. ماذا تبقى لديك يا سيدى ؟ ..

قال المحقق :

— أن أتوصل للشخص الذى حاول قتل تاتا ..

— ومن هو شاهدك التالى ؟ ..

— لقد أمرت باحضار السيده أم بنوره .. لكن البوليس لا يجدها فى بيتها .. أخشى أن تكون قد اختفت .. لكن أكيد سنجدها ! . . .

قال بهاء : إلى المحاضرة الخاطفة . . تحت رعاية شركة المفرقعات العصرية لصناعة القنابل« المينى برشامة » التى قوة تدمير خرافية .. والمساهمة فى بناء معامل الجامعة .. والترسانة البحرية الجديدة والمراصد الجديدة و ..

قال المحاضر :

— إن مدينتنا الجديدة تتمتع بحرية لا مثيل لها . . وقد سألت بعض الشباب والبنات فى طريقهم إلى مكان المهرجان المثير .: لماذا هذه الخلاعة

فى ثيابكم . . وكيف تتبادلون للقبلات على قارعة الطريق . . فصاحوا مستنكرين : هذه حياتنا ونحن أحرار فيها .. هل تريد سلب حريتنا ؟!

فقلت لهم : يا سبحان الله . أفلا تكون الحرية . . حرية . . إلا إذا ما رسمّ كل ما فى الحياة من فحش وإسفاف وإضعاف لإيمان الناشئة بتراث قومهم ! . .

إن ما يحدث . . وشاشة التليفزيون تنقله إلينا أولا بأول : « لهو مصيبة . . وعلينا أن نتقيها بالتنازل عن أنانيتنا . . وإليكم هذا النداء مدير المحطة يلح على كى أوجه لكم هذا النداء . . وهى فرصة لكى أبدأ أمامكم الآن .. بالتنازل عن شىء من أنانيتى . . ولأقرأ لكم النداء »» مؤجلا باقى محاضرتى :

النداء : إلى كل من يعثر على السيدة فهيمة . . الشهيرة بأم بنوره : صاحبة مصانع عصير العنب والزبيب .. والملهى الليلى المعروف باسم بنوره .. أن يسرع بالاتصال بنا .. أو يصحبها إلى المحقق فى مبنى المستشفى . شكراً .

***

ظهر وجه بهاء يوسف على الشاشة ، وهو يقول :

— من واجبى أن أقول لكم .. أننى أخمن المكان الذى توجد فيه أم بنوره حاليا . . وسأنقلكم إليها حالا . . إذا لم يخدعنى التخمين . . وأعتقد أنها لن تغضب منى إذا فاجأتها الآن ..! ومعى المحقق .. فهى أيضا متعبة .. مرهقة .. وتريد أن تزيح كابوس ما حدث عن قلبها .. و .. لدى مفاجأة أخرى . . لقد بقى لكم لدى اعترافان .. بعد أم بنوره .. هما : اعتراف تاتا .. واعترافى .. ومن يدرى . . فربما لحقنا معكم بالمهرجان ! . . والآن إلى المكان الذى اختفت فيه أم بنوره ! . .

قالت المذيعة الجميلة «حسناء»:

ــ وقعت الفتاة فى حب شاب أوهمها برغبته فى الزواج منها . . وانخدعت البنت بالأمانى المعسولة التى راح الشاب يحكيها لها . . وصدقت أن الحياة يمكن أن تكون أحلى وأروع من حياتها معنا هنا فى مدينة طيبة الجديدة . . لكن أسرتها وقفت فى طريق هذا الزواج :: اشترط الأب أن يقيم الزوج هنا معهم .. ليبنى معهم أمجاد طيبة الجديدة .. ولكن الشاب كان مرتبطا بأمه الأرملة التى تعيش فى إحدى مدن الصعيد . . على مسافة ٢٨٥٠ كيلو مترا من مدينتنا .. و ..

مراسلنا فى أسيوط يروى لكم الآن ــ على الهواء مباشرة قصة أول مواطنة من بلدتنا .. تهرب من مجتمعنا السعيد.. فانظروا أى مصير محزن.. كان فى انتظارها .. فالى هناك .. مع مراسلنا حميدو :

ــ وجه حميدو .. يملأ الشاشة .. والمكان .. غرفة ضيقة فى سجن أسيوط .. و .. قال :

ــ تحت رعاية شركة أدوية طبية ، ومصانع الملابس النسائية ، ومحلات العطور . . ومصنع الرموش الصناعية . : أقدم لكم هذا اللقاء مع . . :

— الاسم بالكامل من فضلك ؟

— وداد شيخون الصمدية .. من طيبة الجديدة .. كنت أسكن فى شارع عرابى ومصطفى كامل . . بجوار مسجد الشيخ عبد الراضى . . وملهى أم بنوره .. والدى يملك مزرعة لقصب السكر والسبرتو .. و ..

— ماذا حدث ؟ !

— أحببت . . وكان لابد أن أحافظ على حبيبى من سحر البنت « تاتا » . . .

— من ؟ ..

— سعدون ولد هانم الصعيدية .. من بندر أسيوط ..

— ثم ؟ ! . .

— كان يعمل فى مزرعة القصب عندما رآنى .. رأيته . . أحبنى . . أحببته .. ولكنه كان لابد أن يعود إلى أمه فى أسيوط . . . فرحت طبعاً لأنه سيترك البلد كلها للبنت الفاسدة « تاتا » . .

— والمستقبل المدهش فى طيبة الجديد ؟ ..

— قال أنه مرتبط بأمه الأرملة .. وأنه يعمل فى موسم حصاد القصب فقط ويعود لأمة بالنقود التى جمعها ..

— وأين هو الآن ؟ . .

— اختفى ؟ ..

— كيف ولماذا ؟ ..

— عندما رفض أبى زواجنا .. هربت مع سعدون إلى هنا ..

– تزوجتم ؟ ! ..

– عشت معه أسبوعا .. كالزوجة والزوج تماما ..

– ثم ..

انقطع الإرسال فجأة ، وقال مدير المحطة : لدينا مشكلة صعبة .. هى .. كل شركات السكر .. والحلوى .. والشيكولاته .. ومصانع الكحولات .. تتصارع للإعلان فى قصة الهاربة الحسناء .. دعونا نشاهد الإعلانات بسرعة ثم نعود لبقية رسالتنا من أسيوط ..

.. وتوالت الإعلانات ..

ثم .. عاد الإرسال من أسيوط .. من داخل السجن ..

قالت البنت :

– وضحك على .. سعدون ولد هانم الصعيدية .. أخذ أموالى و .. اختفى ! ...

– أموالك ؟ ! ..

– .. جعلنى أسرق خمسة آلاف جنيه من أبى .. من ثمن القصب .. قبل هروبنا .

– ولماذا اختفى سعدون ؟ . . .

– أخذ مالى .. واستمتع بجسدى .. وكان يعرف أن والدى سيقتله .. فهرب .. ذهب إلى الجبل ولم يعد ..

– ولماذا أنت فى السجن .. للهروب أم للسرقة .. أم ..

– قتلت أمه ! !

– هانم للصعيدية ؟ ! ..

– طردتنى .. قالت عودى لأهلك .. فابنى لا يتزوج من تسرق مال والدها .. وتفرط فى عرضها .. فقتلتها ! . ..

– .. وأسرتك فى طيبة الجديدة ؟ ! ..

– أرسلت خطاباً لأبى . . وكذبت عليه فى الخطاب . . قلت له أننى زوجه سعيده جداً مع سعدون . .

و . . . بكت الهاربة فى حزن . . وندم . .

و .. ظهر وجه المذيعة الجميلة على الشاشة .. وقالت :

– شيء مؤلم فعلا . وهى تستحق لأنها هربت من جنتنا الطيبة . . طيبة الجديدة . . لكن . . معنا الآن الدكتور « سربوع » ليحلل لنا بسرعة . . هذه المأساة المثيرة .. و ..

« ظهر وجه مدير المحطة ليقول : هذه الفقره تحت رعاية محلات لعب الأطفال .. ومصنع الألبان الصناعية .. و ..

عندما أتيح للدكتور « سربوع » أن يتكلم على الشاشة – بعد سيل الإعلانات . .

قال :

– إن الطفل المحروم عاطفياً ، مصاب بحالة توقف فى النمو .. نمو جسمه فيصبح قزما . . . أو نمو تفكيره .. فيختلف عقليا . .

ويعجز عن التفكير السليم . . وهذه الفتاة – مثلا – لابد تعرضت لحرمان عاطفى . . سواء من أمها أو والدها . . أو من حالات حب فاشلة سابقة . . فلديها قصور واضح فى التفكير . . أدى بها إلى الحب المحرم . . والسرقة .. والهروب و .. القتل و .. على كل . : لدينا فى طيبة الجديدة الإمكانيات العلمية التى ستقلل فى المستقبل من مثل هذه الحالات المرضية . . و . . . يجب ألا نشك فى جيلنا الجديد كله .. فمشكلة هذه الفتاة .. مسألة تحدث فقط لبعض الناس . . وليس للكل ! . .

انقطع الإرسال . . وقال مدير المحطة :

– فى صحبة هذه الباقة من الإعلانات . . نعود بكم إلى المستشفى لنتابع التحقيقات الساخنة فى حادث .. الفاتنة : تاتا ! ..

فى ركن هادىء بمزرعة أم بنوره ، وتحت تكعيبة عنب محملة بالعناقيد الشهية ، جلست أم بنوره ، أمام الشيخ عبد الراضى فى خشوع ، وقد غطت رأسها ووجهها بوشاح أبيض .. وسالت دموعها ، وتحول صوتها إلى همس مرتعش .. وهى تقول :

— لم يكن أمامى من حل آخر .. جئت إلى هنا وحيدة .. معى ابنتى بنوره .. وكان زوجى قد رحل .. دفنته فى القرية قبل الهجرة إلى هنا بعام .. وأخذ أقاربه كل شىء .. ورفضوا السماح لى بدفنه بمقبرتهم بالمنصورة .. حملته إلى قريتى منية النصر .. ودعته هناك .. وحملت ثيابى .. وما تبقى من نقود .. وجئت إلى طيبة الجديدة ..

.. تذكر يا شيخ عبد الراضى حال المدينة منذ عامين .. تلال من الرمال .. وأجساد العمال .. والجرارات .. والأثرياء والعمل كالطاحونة .. لا يتوقف .. و .. جاء رجال الأمن .. وأصروا على إعادتى إلى قريتى .. فلا مكان هنا لمن لا مال عنده .. فتحت حقيبتى .. أريتهم نقودى .. قلت لهم سأشترى أرضا .. سأبنى مشروعا صغيرا .. لكنهم طالبونى بضامن موثوق به .. تلفت حولى .. رأيت الرجل الوسيم .. الطافح بالنعمة .. اقتربت منه .. كان مشغولا بمتابعة البناء فى مصنع عصير العنب والزبيب .. ولابد أنه لاحظ

جمالى . . اعذرنى يا شيخ . . فقد قبل مشاركتى له بمالى القليل . . ألف جنيه فقط هى كل ما كان معى . . أخذها وكتب عقد المشاركة .. فتركنى رجال الأمن .. وسجلوا اسمى مع سجل الرواد الأوائل الذين جاءوا لتحقيق أحلام العمر هنا . .

— . . . ؟

— فى الحق .. كان نور بك الكبير .. شهما وعفيفا .. رغم اشتهائه لى : فإنه رفض أن يقربنى إلا بزواج شرعى . . وقبل الزواج عرفنى بابنه بالتبنى : نور شلاطه . . أو نور الصغير . . اللقيط سيىء الحظ . . وابنته درية نور عبد السلام .. كانت فى العام الأخير لها بالجامعة فى العاصمة .. وآثر والدها — زوجى — أن يتركها هناك تتم دراستها .. لكنها عندما أنهت دراستها وجاءت إلى طيبة الجديدة . . كان معها زوجها . . شاب لطيف . . كان زميلا لها بالجامعة .. وتزوجا .. بدون موافقة نور الكبير .. بل هو سبق أن رفض زواج دريه من هذا الشاب . . صارحها بأنه سيرتب لها زواجا مفيدا .. بجعل نصف أملاك صاحب شركة المفرقعات باسمها .. لكنها حزنت ورفضت أن يخطبها والدها لابن تاجر المفرقعات دون علمها .. و ..

— . . . ؟ !

— طبعا .. أكيد . . لقد عجلت بزواجها هذا .. من وفاة نور بك . . رحمه الله . . كان شهما . . رحل وترك لى كل شىء باسمى . . وهذه هى الأوراق . .

س : ونصيب دريه .. ونور الصغير ؟ . .

جـ : لم يترك لهما شيئا . . قال انه واثق من حسن رعايتى لهما . . وأنا لم أبخل عليهما بشىء .. أنت تعرف يا شيخ عبد الراضى . .

لكن الشرع يا فهيمه . . ينص على أن للابنة نصيبها . . وللابن بالتبنى نصيب و . . .

هنا وصل المحقق مع بهاء يوسف ، هبطا من سيارة التليفزيون الأهلى . . وفوجئت أم بنوره . . وفوجىء الشيخ عبد الراضى . . قال :

ـ لا تدخلوا قبل أن تستأذنوا وتستأنسوا . .

اعتذر بهاء . . قال :

ـ تصرفت على مسئوليتى . . من باب الثقة المتبادلة بينى أنا وأم بنوره ؟ . .

وقال المحقق : لن نختلف كثيراً . . إذا تذكرنا مصلحة الأمن العام بالمدينة . . والآن . . هل أبدأ الأسئلة ؟!

قالت أم بنوره :

ـ لا داعى . . فأنا سأقول لكم كل شىء . .

س : هل ساعدت رضوان رضوان فى اختطاف نور شلاطه و . . .

جـ : بل أنا قمت بكل شىء . . فرضوان ضعيف . . مهزوز . . مدمن . . أنا حجزت نور عندى . . وأغريته براقصة كان يشتهيها على الدوام . . فصرف أعوانه . . ودخل بنفسه إلى الغرفة الداخلية . . وفى آخر الليل حملته بنفسى إلى سيارة رضوان وصحبته إلى الكهف القديم فى مزرعته : : بل عرضت أن أخفيه عندى فى مزرعتى . . لكن رضوان كان مسعورا : : استرد فجأة عافيته . . وأخذ يحمى الأسياخ ليشوى نور شلاطة بنارها الرهيبة ! .

س : لماذا فعلت ذلك ؟

جـ : اعتدى على ابنتى بنوره :. وشاركنى الفراش رغما عنى :. وابتز أموالى .. فرض اتاوة ضخمة على . . وهددنى بخطف ابنتى بنوره أو قتلها إذا رفضت له طلبا . . كما أنه أراد أن أعطى لأخته دريه نصيب الأسد فى المصنع والمزرعة والملهى .. وأخذ منى أكثر من نصيبه الشرعى وغير الشرعى .. وأخيرا أنتم تعرفون ما فعله بالمسكينة تاتا .. اعتدى عليها علنا .. فى الشارع .. و ..

اختنق صوت أم بنوره .. فأعطاها بهاء يوسف كوب ماء . . وأخذ لنفسه عنقود عنب . . أعطى بعضه للمحقق . . وللشيخ عبد الراضى . . وأضافت أم بنوره :

ــ ولماذا تساعدين رضوان ؟! . . هل للسبب الشخصى الذى :؟

قالت :

ــ رضوان .. مثلى .. فقد كل شىء قبل الحضور إلى هنا :: وبقى له أن يغامر بكل عمره هنا . . ولذلك وقفت معه .. أخفيت الغريب نوح خاطف زوجة رضوان عندى . . أغريته بالعودة إلى صاحبته . . وقبل اعتداء نور شلاطه على تاتا . . بيوم واحد . . سافر نوح .. ترك البلد . . اقتنع بكلامى ورضى أن يترك تاتا ورضوان يعيشان فى سلام هنا .. وعدته أنا بإعطائه كل ما يريده .. فرضوان شريكى فى الملهى الليلى . :

س : هل سافر الغريب نوح من هنا .. قبل محاولة قتل تاتا ؟ ::

جـ : بل سافر قبل الاعتداء عليها بيوم . :

س : هل لديك أقوال أخرى ؟ !

قالت أم بنوره :

— لدى كلام كثير .. فأنا . . حاولت إغراء الغريب نوح لكى يقتل دريه نور عبد السلام .. لأتخلص من مطالبتها بنصف أموالى ظلما وعدوانا .. لكنه رفض . . عرضت عليه مالا كثيرا .. فرفض . . ولم أكن أعرف أن وهيب النص .. سيكون وفيا لى إلى حد الذهاب بنفسه إلى العاصمة .. ليحقق رغبتى .. مسكين وهيب النص .. كان وفيا .. لكنه ألقى بنفسه فى الهلاك ! ..

س : والآن .. هل تذهبين معى ؟! ..

قالت أم بنوره :

— قبل أن تأخذنى . . أريد أن تشهد أنت وبهاء على أننى وهبت كل إيراد مزرعة العنب لمسجد مدينة طيبة الجديدة .. وهى أرض بمال حلال .. وهذه الأوراق التى كتبتها بنفسى . . وكذلك . . اشهدوا على أننى تركت نصف إيراد مصنع الزبيب لليتامى . . ومرضى شلل الأطفال . . أما إيراد الملهى الليلى فهو لمن يعملون فيه من راقصات ومطربات وبنات الليل . . وأما ابنتى بنوره . . فيكفيها نصف إيراد مصنع العصير والزبيب . . أليس كافيا لإسعادها مع زوجها .. ليتنى أزوجها قبل أن أذهب ! . .

* * *

قال بهاء ، فى أسى واضح : والآن سيداتى سادتى . . نحن ننتقل مع المحقق .. إلى خطوته التالية .. بحثا عن إجابة للسؤال المحير :

— من الذى حاول قتل تاتا ؟ . .

— وما هى العلاقة بين تاتا .. ودرية ؟ . .

— و . . ؟

من واجبي أن أذكركم بأنني أنتظر دوري في الاعتراف .. بعد تاتا .. أو قبلها .. لا أدري !

لكن ..

إليكم هذه المحاضرة الخاطفة .. تحت رعاية مصانع البالونات والبلاستيك .. والفضيات .. وصناعة الأثاث .. وديكور السيارات .. والطائرات .. و .. إليكم الدكتوره نهى حسين .. صاحبة أشهر التصميمات في عالم اليوم وصاحبة الشقق المفروشة و « الموتيلات » و . .

الدكتورة نهى حسين ، تلمس حافة نظارتها المذهبة .. وتقرأ من ورقة رقيقة ملونة في يدها ..

— « .. إن الحالة العاطفية لسكان مدينتنا .. طيبة الجديدة .. تقلقني .. فعمرها أقل من عامين بساعة ونصف الساعة وست وعشرين ثانية . . أقول أن حالتهم العاطفية يمكن أن تتحسن .. رغم مابداخلهم من ميراث هائل من الخلافات العائلية ، والعواطف الفاشلة .. ولكن يسرني أن أقول أنني أجريت دراسة ميدانية بإشراف مصانع .. وشركات .. وهذه المحطة للتليفزيون ، على عينات من مختلف الأعمار .. من السيدات والرجال والفتيان والفتيات والصبية .. وتأكدت — علميا — من أنهم قد سقطوا دفعة واحدة في جب الأنانية . . غرقوا في ذواتهم ..

و . . أبشع دليل على صدق كلامي هذا . . أنهم لم يقيموا بعد .. مقبرة جماعية لموتاهم .. وإذا كانت الإحصائيات تدلنا على أن عدد الموتى هو : ٩ رجال + ١٢ سيدة + ٧ أطفال .. فأين دفنوهم يا ترى؟!..

أيدهشكم أن أقول أن كل أسرة تدفن ميتها فى فناء بيتها .. أو فى مزرعتها .. دون شعائر أو احتفالات ؟! ..

شىء آخر : المواليد الجدد فى مدينتنا هذه هم : ١٧ طفلة + ٢٠ طفلا .. ولم يسجل آباؤهم وأمهاتهم أى اسم لأى مولود .. فى دفاتر إدارة المدينة .. كيف .. ولماذا ؟! .. إنه الانطواء .. إنها العزلة المخيفة .. ولهذا .. فأنا أنشأت الشقق المفروشة والموتيلات وزودتها بأحدث الأجهزة .. وأجمل النساء و ..

***

ظهر وجه بهاء يوسف ، شديد الإرهاق — رغم ابتسامته الشاحبة ، على الشاشة .. وقال :

— ما رأيكم ؟! .. و .. هل تساعد الأحداث التى نعيشها معكم منذ ليلة أمس .. بل هل يساعد مهرجان الليلة .. على هز هذه العزله .. هل تحدث المعجزة .. وتتكسر القوقعة الضخمة .. ويتم التلاقى .. ونتبادل العواطف .. ؟! .. لا أعرف .. لكن معذرة .. فالمحقق يتعجلنى .. يبدو أن دورى قد جاء ! ..

حاولت تاتا أن تتكلم .. لكن لسانها ظل ثقيلا :: ورائحة البنج تفوح منها ..

قال بهاء .. بمرارة ، وسخرية ، وهو يحاول الابتسام !

— ما رأيك ياعزيزى المحقق ::

— فى ؟ . .

— هل تحب أن تعرف جذور بعض الأشياء :: إلى أن تتمكن تاتا من الكلام ..

— مثل ؟ ! . .

قال بهاء :

— لا أعرف بالضبط .: لكن .. بعد إذن تاتا طبعا :: إليك عدة أفلام صورتها بنفسى لهـا .. وفيها بعض مذكراتها الشخصية جداً :« وضحك » .: كنا نتسلى بتسجيل مذكراتنا .: مثلما نتسلى أحيانا بكتابة أسمائنا على جذوع الأشجار :: ونرسم قلوبا متعانقة :: أو مجروحة بسهام كيوبيد الساحر كما كنا نفعل فى المدن القديمة ..

هه :: هل تتفرج بعض الوقت ؟! ::

— لم لا ؟ ..

.. دارت الأفلام .: فى جهاز الفيديو كاسيت .. وانهمك المحقق فى المشاهدة ..

: . حاولت تاتا أن ترى الشاشة..أسرعت الممرضة بنوره . . وعاونها بهاء : . ساعدا تاتا : : رفعا رأسها لترى ما يعرض من ذكرياتها . . و.:

.. شبت على أصابع قدميها . . وعلقت شريطا أخضر فى فرع الشجرة.. ثم .. ربطت ورقتها بسلك وعلقتها بفرع آخر .. واحتضنت الشجرة وبكت .. وباحت بأسرارها :

— أريد أمى .. عودى يا أمى لترى كيف عذبونى هنا .. أبى يعيش وحيدا منبوذا :: رغم ماله ومطاعم تاتا فى بلدتنا .. عودى يا أمى .. لترى كيف اعتدوا على جسدى وعرضى .. إنهم .. (وهنا ظهر عاشق للشجرة وهو يقترب من جسد تاتا .. والشراهة تطل عن عينيه

... ::: :::

فى ركن آخر :: خلف شونة البلدة .: وبين سيارات الجمرك الجديدة: وعند أجولة القمح .: وصوامعها الطويلة الضخمة .. وقف رجل فى الخمسين من عمره ، كان يزن بعض القمح للنساء والرجال .: وفضل أن يسرع فى عمله حتى انصرفوا جميعا وبقيت تاتا تنتظر دورها فى استلام حصة المطعم من القمح والأرز .. فاقترب منها .. وبدأ يساومها على جسدها .. دون لف أو دوران .. قال لها :

— أصبحنا وحدنا يا تاتا .. وأنا مشغول بهواك منذ رأيتك فى المرة السابقة .. هنا فى الشونة .. سأعطيك كل ما تطلبين .. فقط .. أعطينى حضنا واحدا ..

— لديك أولاد .. وبنات مثلى .. عيب ! ..

جذبها الرجل بشراسة .. أوقعها بين الصوامع وارتمى فوقها .. لكنها انفلتت وجرت مذعورة .. ووقفت بعيدا ترتجف .. تتوسل لحارس الشونة أن يساعدها أمام المخزنجى والصراف .. لكن الحارس اقترب منها ، وقال :

— أول مرة أراك عن قرب .. أنت حقاً مثيرة وجميلة وطلوبة .. أول مرة أعرف أن زوجتى معها حق .. كل ليلة تتعارك معى .. وتتهمنى بأنى أزنى معك .. سأحكى لها الليلة أنى فعلت كل ما اتهمته به زورا وظلما .. لن أتعبك .. لن أخذ أكثر من ..

صرخت تاتا .. وجرت مفضلة صفعات والدها لعودتها بدون قمح أو أرز .. بينما بهاء يتعارك مع حارس الشونة ..

. . . . .

. . . . .

. . . . .

قرب مبنى مسجد البلدة .. شيخ المسجد يصيح فى تاتا :

— تحشمى يا ابنتى .. واحترمى لنفسك .. أجل يا ابنتى إن بعض

الظن إثم .. لكن ادرأوا الشبهات .. أنت غريبة .. وكلنا هنا غرباء .. أبوك رضوان رضوان مشغول بمطاعمه . . وجمع الأموال . . ولكن الله يرعى عباده الصالحين . . فاياك ومواطن الشبهات . . وإياك والانخداع في بريق الفساد الذي يعمي الأبصار ..

صمت شيخ المسجد قليلا . . وقال :

— ليس عندي ما أحميك به غير ابتهالات إلى الله . . إنه وحده القادر على إنقاذنا مما حل بنا من بوار وشرور . .

بكت تاتا . . وقبلت يدي الشيخ ، وقالت :

— إنني خائفة يا شيخ عبد الراضي . .

ربت على رأسها بأبوة . . وهمس :

— لدي بنات في مثل سنك . . وإني أنصحهن على الدوام بالإيمان .. فاذكري الله يذكرك يا ابنتي . .

. . . .

. . . .

. . . .

نور شلاطة ، يعترض طريق تاتا ، بوقاحة . . يمسك ذراعيها . . يهزها بعنف . . يقول لها :

— ماذا أفعل لتعرفي أنني أحبك يا بنت الـ . .

صاحت ، وهي تقاوم ذعرها :

ـ ابعد عنى قرن الغزال . .

ضحك نور .. وقال :

ـ سمعتك سيئة فى بلدتنا كلها . . كل الرجال وكل الشبان . . يتمتعون بجسدك . . وكلهم يروون الحكايات عنك . . وأنا سيد الرجال والفتيان هنا . .

بكت فى ضراعة . . قالت :

ـ يكذبون .. لا يمسنى أحدهم . . أحلف لك بالله رب السموات . . فابتعد عنى . .

. . . . ضمها نور شلاطة وقبلها . . فصرخت . . وصرخت وأسرع بعض الرجال وبعض الشبان والصبية وأطلت النسوة والفتيات وشاهدوها فى أحضان نور شلاطة .. أفزعتها الفضيحة .. عضته بجنون فى عنقه . . فابتعد صارخا . . فانفلتت تجرى والألسنة تطاردها .. وصوت نور شلاطة يتوعدها .

ـ سأنالك .. سأنالك يا بنت الـ ...

. . . .

. . . .

. . . .

أم بنوره تحتوى تاتا بين ذراعيها السمينتين . . تضمها بأمومة . . تأخذها إلى بيتها . . تسير بها إلى الملهى . . تربها الزبائن السكارى . .

والغانيات السعيدات حول المناضد . . وفوق خشبة المسرح الصغيرة . . يغنين ويرقص . . وسط جو ملىء بالدخان وصراخ اللهو والانسطال . . و . . .

همست أم بنوره :

— سأضع اسمك إلى جوار اسم ابنتى بنوره . . سأجعله ملهى بنوره وتاتا . . ولك ربع الربح كل ليلة ؟ . .

شحب وجه تاتا . . قالت :

— ابنتك صديقتى الوحيدة هنا . .

قالت المرأة فى ضيق :

— بنوره . . بنتى . . مال حظها من زمن . . ولدت سوداء . . بينها وبين الجمال عداوة . . لا تصلح للملهى . . هربت إلى المستشفى . . دخلت مدرسة التمريض . . دعك منها . . أنت جميلة وفاتنة . . و . . كنز . . كنز من الذهب . .

انكمشت تاتا . . وقالت :

— تمنيتك أما لى يا أم بنوره . .

قالت :

— لكننى تاجرة . . وأنصحك بالعمل عندى . . سأحميك من كل الذين ينامون معك مجانا . . ويطاردونك بدون أن يدفعوا لك ما تستحقينه

من مال . . سأجعلهم يدفعون دم قلوبهم وكل ما فى جيوبهم قبل أن يلمسوكى . .

لمعت عينا تاتا فى خبال . . عرت فخذيها . . وقالت لأم بنوره :

ــ تأكدى بنفسك . . إننى عذراء . . لم يلمسنى أحد . . يا أمرأة يا مجنونه . . أننى عذراء . . ولست داعرة يا كفرة .

ثم أخذت تبكى وهى تقول . . ارحمونى يا كفرة ..

. . . .

. . . .

. . . .

الغريب نوح . . يتجول فى الحارة . . يتجه إلى الشارع . . يدور أمام البيت مرات . . يراه بهاء يوسف . . إلا أنه يعدكاميراته ليصور ما يشعر بأنه سيحدث حالا . .

الغريب نوح يهرول إلى الشجرة الخضراء . . يبحث عن الورقة الخاصة بـ . . تاتا . . يقرؤها مرات ثم يدفع مالا لصاحب الشجرة . . ويهرول إلى البيت مرة أخرى . . ينتظر ظهور تاتا . . يراها . . يحاصرها بيديه . . يقول :

ــ أمك تريدك . .

- أين هي ؟ ..

- سآخذك إليها . .

- لا . .

- ستأتين معي . .

- قلت لا . . عد إليها . . يا شيطان . .

- أنا الغريب نوح . . حبيبك أيام زمان . . أتذكرين لعب عريس وعروسه . . و ..

- ابتعد عني . .

- وكنت تحضرين لي الساندويتشات من مطعم أبيك . .

- سأصرخ يا نوح ..

ضحك الغريب نوح . . قال :

أمك أعطتني تفويضاً كتابيا لأحاسب والدك . . وسآخذك وآخذ نصيبك ونصيب أمك أيضاً . .

- ألا تكفيك خيانة أمي .. وخيانتك ..

- أنت المراد والطلب . .

- أمي هربت معك . .

- كنت أجيء لك وحدك . . أنت تعرفين .. لكن أمك لم تكن تحب والدك . . أنت تعرفين . . ضحكت علي . . خدعتني بمالها وشبابها وأنوثتها الفظيعة . . أمك امرأة فاجرة فاسدة . . لكنني سأتزوجك أنت . .

و . . .

ظهر نور شلاطه كالزوبعة وفى يده قرن الغزال . .

تعارك مع الغريب نوح بالمطاوى . .

اجتمع أهل الشارع للفرجه . .

حدثت المفاجأة للجميع ..

الغريب نوح يضرب نور شلاطه . .

أول واحد يفعلها . . فى وسط الشارع . .

ضربه نوح .. ومزق وجهه من الصفعات ... ثم .. مزق بنطلونه وامتطاه .. وجعله يسير فى الشارع . . هلل أهل الشارع .. أول مرة يرون نور شلاطه يهان أمامهم .. أول مرة يرون رجلا مثلهم تماما .. يقدر على ضرب شلاطه و .. صرخوا من الفرح والخوف وتسابقوا للاعجاب بالغريب نوح .. ولمسه الأطفال فى تردد .. وتمنته بعض النساء والفتيات .. وحسده بعض الفتيان والرجال .. وأسرعت إليه أم بنوره .. أخذته إلى الملهى .. وقدمت له الشراب مجانا .. وقدمت له الطعام .. و .. أهدته نفسها ثم تركت أجمل بنات الملهى ..

. . . . . .

. . . . . .

. . . . . .

سأل المحقق :

— شىء مروع .. لكن .. كيف صورت كل هذا يا بهاء ؟! . .

قال بهاء ، ويده تحتضن يدى تاتا . الشاحبة الجريحة :

– قصة طويلة .. وسخيفة .. لكن .. ببساطة .. كنت واحدا مثلهم . . ظننت أن تاتا تعطى نفسها لكل إنسان . . وصارحتها برغبتى فيها . . لكنها فاجأتنى . .

– أنت ؟! .. لا .. أريدك أخا وحبيبا .. وصديقا . .

– لكنهم يتمتعون بك .. وأنا أحضرتك إلى هنا بعد هروب أمك و .. من حقى أن أتمتع بك . .

– أنت ؟! . . لماذا ؟! . .

– لأننى أحبك منذ كنا صغيرين . . أتذكرين .. فى القرية البعيدة . . كنا جيرانا . . مدرسة ولعب ، وتبادلنا حبا بريئا . .

– لهذا .. لا تكن مثلهم .. لهذا .. كن أخى .. كن حبيبى .. كن صديقى .. كن حماية لى من الفساد .. احمينى . .

– لكنهم يقولون . .

– لا تصدقهم . .

– لكنهم يؤكدون .. كلهم ينالونك . .

– اصحبنى فى أى يوم .. اصحبنى الآن .. فى نفس الطريق الذى أمر به .. وأنا فى طريقى للشونة لاستلام تموين المطاعم من قمح وأرز . . وفى طريقى للمسجد لأتلقى أدعية الشيخ . . وفى طريقى للمطعم وللبيت .. اصحبنى .. وكن

على بعد . . افعل ذلك اليوم . . وكل يوم : . لعلك ترى الحقيقة بنفسك . :
أو لعلك تحميني من الضياع . .

و . . .

نفخ المحقق نفسا طويلا . . قلقا . . واستدار إلى تاتا . . وقال :

— أظنك الآن . . تستطيعين الكلام . من هم الذين حاولوا قتلك . . تكلمي من فضلك ودعينا ننتهي من كل هذا . .

لكن المذيعة « حسناء » ظهرت فجأة لتعلن : لحظة من فضلكم . : لدينا شيء عاجل جدا . :

— ١٥ —

سألت المذيعة الحسناء .. ضيفها العجوز الوقور :

– ما هى مكونات عقل الإنسان .. فى بلدتنا السعيدة ؟!

سؤال يلح الآن على بالكم . . وأنتم تواصلون مشاهدة هذه المأساة . . أقصد طبعا مأساة الفاتنة « تاتا .. » ؟! ..

– وضيفنا الآن .. هو فيلسوف المدينة .. الدكتور نجيب .

– دكتور نجيب . . أهلا بك .. لأول مرة على شاشة محطة التليفزيون الأهلية . .

– لم يكن عدم ظهورى قبل الآن .. لسبب خاص بى . . فأنا جئت إلى مدينتكم للاستشفاء من آلام السنين هموم العمر . . لكننى لم أدع قبل الآن للظهور على شاشتكم :

سؤال : ما هى مكونات عقل الإنسان فى بلدتنا .. وأظن أن وجودكم معنا هنا منذ عامين للاستشفاء قد أتاح لك التعرف على نوازع البشر هنا ..و..

نظر الدكتور إلى المذيعة الجميلة .. وقال :

– إن هذه المدينة .. الناشئة .. قليلة التجربة .. وهى ما زالت تحيا تجربتها الفريدة وسط الصحراء . . وقد تكدست الحضارة العصرية فيها تكدسا مخيفاً..

وهذا سبب القلق والتوتر لأهلها الوافدين.. وهم مازالوا وسيظلون لجيل أو جيلين قادمين .. مجرد مجموعة من البشر الغرباء : : فالتجانس منعدم تماماً بينهم : : والتنافر يسود تعاملهم و . . .

— . . . . ؟

— معك حق أيتها الحسناء . . . إن البشر هنا يعيشون حصاد المعلومات المتنقلة إليهم بالوراثة والعلم .. عبر أجيال وعصور سحيقة سابقة . : . إن فيهم بعض عيوب وأمراض وطموحات الأجداد : : ومضافاً إلى ذلك ثقافات عديدة تكونت وتجمعت من آلاف السنين عبر أجهزة العقل وعملية التلقين المتبادلة بين الآباء والأبناء و . . .

— . . . ؟

— إنهم حقاً فى صراع حاد . . بل قاس ومؤلم : : وهاهم محتكرو القوة — هنا — قد بدأوا بالفعل يدركون إنهم أقوياء :: وأنهم يمتلكون كل شىء .. وهذه بداية اتجاه التنافر الاجتماعى فى بلدتكم إلى نوع من الصراع الدامى : . أو بعبارة أخرى . : يجب أن نتوقع اتجاه الأقوياء إلى الضرب بتهور . . وبشراسة .. وسيقابل ذلك دفاع مستميت من جانب الضعفاء الذين لا يملكون سوى بقايا طموحات وأحلام إنسانية بسيطة.: ولهذا فاننى أقترح — كحل سريع .. أن ....

.. انقطع الإرسال فجأة ، وظهر مدير المحطة بوجهه اللامع وقال :

— يؤسفنى قطع هذا اللقاء الفكرى الهام جدا . : والحيوى جدا . . فأنا مثلكم أريد أن أعرف ماهى الحلول اللازمة لإيقاف اتجاهنا نحو التصادم.. الدموى وأريد أيضا أن أقلل من حدة التنافر بين بعض الناس هنا : . لكننى أيضا ::

لا أحب أن أشهر إفلاسى وأحرمكم من خدمات محطتى الأهلية للتليفزيون ..
كيف ؟! ... أقول لكم .. بكل أسف .. أن جميع الشركات والمصانع هنا ..
قاطعت برنامجى مع فيلسوف المدينة .. ورفضت إذاعة أى إعلان لمنتجاتها
خلال حديثه . . رغم جهودى الخارقة . . والمضنية . . إنهم رفضوا دفع
تكاليف هذه الدقائق التى ظهر خلالها الفيلسوف . فعذرا لكم .. وله ..

والآن . .

– نعود إلى بقية مأساة الفاتنة تاتا . . فهى نموذج للإنسان الذى تخترق
جسده – وروحه – شظايا من الصلب . . لكنه لا يفقد ضميره .. ولا تهتز
عواطفه .. وتظل مصممة على البقاء بينكم فى طبية الجديدة .. رغم الرصاصات
التى فاجأها بها القتلة ليلة أمس .. إنها مثال – أيضا – لنوعية البرامج المثيرة
التى يتزاحم المعلنون على قطع استمتاعكم بقصتها .. لكن .. إلى هناك فورا ..

كان الأمر فى غاية الصعوبة . كيف أخبر تاتا بأن والدها .. قد جن ..
وأنه حاليا فى طريقه إلى مستشفى الأمراض العقلية بالفعل .. ؟ ! . .

أجلت الأمر إلى وقت آخر ..

وأنتم أعزائى المشاهدين .. لا داعى لاخبارها بذلك .. فهى تمر بلحظات حرجة . . و . . بلاحرج . . رغم استمتاعكم منذ الصباح بقصة تاتا .. ومأساتها .. ومشاهدتكم لها أثناء العملية الجراحية .. واستخراج الرصاصات من بطنها وفخذيها . . رغم ذلك .. فانه للأسف لم تصلها باقة ورد واحدة منكم .. آسف لصراحتى . . لكن يبدو أن محلات الزهور هى السبب فى هذا .. أثق فى أنكم ستتعجلون بائعى الورد .. هه ! ..

والآن :

— هل صحيح أن الارتباط بانسان تافه يصنع مأساة لا يمكن الخروج منها أبداً ؟ ! ..

.. أنا لا أقصد بذلك السيدة أم تاتا .. أو ذلك الغريب نوح .. أو السيد والدها : رضوان رضوان إنما أنا أردت أن أعرف وجهة نظر المحقق فى هذه اللحظة .. بعد أن أوشك أن يكشف ما تبقى .. وخاصة

أننى أراه الآن يهدى لنفسه كوب عصير .: وسندوتيشامن مطاعم تاتا .:
وعلى وجهه علامات الرضى . . فهل أوشكنا على النهايه ؟ : .

قال المحقق ، وهو يلتهم طعامه :

– إلى حد ما .. هذا صحيح .. وكلامك عن النماذج التافهة صحيح أيضاً إلى حد ما ..

أسرع بهاء فى حرج :

– لكننى لا أعنى أن صفة التفاهة تنطبق على كل ما حدث .. أو على الأقل .. لا يمكن لى أن أصف بها رضوان . . أو أم بنوره .. وربما نور شلاطة أيضاً .. إنهم ضحايا .. و ..

قاطعه المحقق ، قائلا :

– دعنا أولا .. نرى هل حالة الآنسة تاتا تسمح بسؤالها الآن ؟ ..

.. وافق الطبيب ..

فدخل المحقق ومساعده .. وبهاء يوسف بكاميراته وقال للمشاهدين :

– ها هى الضحية رقم واحد فى مدينتنا تتكلم إليكم ..

وأعتقد أنها ستبوح لكم بأسرار مثيرة !

.. فجأة لمع النور الأحمر فى الكاميرا ..

وجاء صوت مدير المحطة :

– معذرة لكم أيها المشاهدون الأحباء .: إننا الآن فى حالة غريبة ..

نحن أمام الآن فتاة حسناء .. بل شديدة الفتنة .. شغلتكم طوال اليوم بمأساتها .. وكشفت لكم بعض الأقنعة المزيفة .. ساعدتنا بدون شك على التطهر من بعض الفساد .. عظيم ؟ ! ..

ـ وصمت لحظة ، وابتسم ، ثم قال :

ـ لن أعطلكم كثيراً عن سماعها .. فنجمنا بهاء يوسف هناك .. يعمل بنشاط .. لكن لدى كلمة ..

ـ .. إن تاتا .. فتاة تعانى الأمرين من حياتها .. بل هى فى مرار متصل مع هذا المجتمع ، ومع ذلك فهى تصر على الاحتفاظ بعلاقاتها معنا جميعا .. أليس كذلك ..

.. لن أطيل عليكم .. فحالا ستعودون إلى نجمتكم الفاتنة .. وسترساون إليها باقات الزهور من إنتاج مزارعنا .. آه .. فالشركة الأهلية للتليفزيون تستثمر بعض أرباحها فى مزارع للورد ومصانع للعطور .. و .. إليكم هذه الباقة المثيرة من الإعلانات .. لقد خضت صراعا رهيبا مع أصحاب الشركات والمصانع لكى أرضى جميع الأطراف .. فالجميع يريدون وقتا للدعاية .. هذا حقهم .. وحقكم أنتم أيضاً .. لكن اسمحوا لى أن نخصص هذا اللحظات لمصانع الثياب الداخلية للآنسات .. والسيدات والصبيات الجميلات الصغيرات أيضاً .. لكى نعرف .. كيف استطاعت تاتا .. بذكائها أن تنتقى ثيابها الداخلية المثيرة التى شاهدتموها فى بداية الحادث ..

***

.. بعد ربع ساعة .. قال مدير المحطة :

– أستاذ بهاء .. ستندباى .. أنت على الهواء ..

***

نظر المحقق طويلا إلى وجه تاتا .. سألها :

س : من الذى حاول قتلك ؟ ! ..

جـ : كان الظلام كثيفا .. وكان التيار الكهربائى مقطوعا ..

قال بهاء فى ارتباك :

– حاولى يا تاتا .. تذكرى .. لقد كان تليفزيونى يعمل بصوت مرتفع فى البيت لحظتها ..

نظرت إليه تاتا .. فى عتاب .. ثم قالت :

– لكننى لم أر القاتل ! ..

س : أين كنت .. فى منتصف الليل ؟ ! ..

جـ : كنت عند بهاء يوسف ! ..

اتسعت عينا المحقق ، وهو يحدق فى وجه بهاء .. ثم سألها :

س : ثم ؟ !

جـ : خرجت إلى الشارع ..

س : لماذا ؟ ! ..

جـ : ذهبت إلى أم بنوره .: جارتنا .: وصاحبة البيت الذى نسكن فيه . . .

س : لماذا ؟ ! ..

جـ : كنت أسألها عن أخبار أبى ..

س : هل كنت تعرفين أين يذهب والدك كل ليله ؟

جـ : منذ شهرين .. صار لا يعود للبيت ليلا .. كان يأتى أحيانا بالنهار .. ثم صار لا يأتى أبدا .

س : ثم ؟ ..

جـ : ذهبت لأم بنوره .. أخبرتنى أن أبى بخير .. وأنه بسبب الاعتداء على فى الشارع أصبح يكره العودة للبيت .. كان يهرب من نظرات السكان فى شارع مكة ..

س : ثم .. ؟ ! ألم تخبرك أم بنوره .. بأن والدك فى المزرعة ؟

جـ : كنت أعرف أنه يقضى الليل هناك ..

س : وتعرفين ماذا يفعل فى الكهف ؟

جـ : كنت أعرف..وقد دعانى أبى لأشاهدتعذيب نور شلاطهقرن الغزال وقد جعله أبى يجثو عند قدمى ويلعق حذائى مستغفرا . .

س : ألم تفكرى فى عمل شىء .. إنقاذ نور شلاطهمثلا .. إبلاغناالأمر .: مثلا مثلا ؟ .

ح : أنت لا تعرف بشاعة الاغتصاب يا سيدى ! ..

صمت المحقق لحظة ، ثم .. عاد يسألها :

— آنسة تاتا . . بقى أن نعرف علاقتك بالقتيلة درية نور عبدالسلام ! ..

— كانت زميلتى فى الدراسة .. واصلت هى حتى الجامعة .. وبقيت أنا أعمل مع أبى فى الريست . . ثم فى المطاعم .. وهاجرت مع أبى إلى هنا .. وتذكرتها فى عزلتى .. فكتبت لها رسالة .. واعتدنا المراسلة . .

س : ألم تحضر لزيارتك هنا ؟ . .

ح : حضرت مرتين .. وكان معها شاب زميلها .. صار زوجها فيما بعد . .

س : ولماذا توقفت المراسلة بينكما ؟ !

ح : لأنها أرسلت عنوانى إلى أمى .. وطبعا أمى أرسلت صديقها أو عشيقها الغريب نوح إلى هنا . .

س : هل تحول حبك لدريه إلى .. كراهية مثلا ! ..

ح : نعم .. فأنا أكره الغدر والخيانة .. وهى تعلم أننى رجوتها مرارا .. ألا تخبر أمى بعنوانى فى طيبة ..

س : ربما أرادت .. أو ظنت .. أنها قد تساعد فى إعادة أمك إليك أنت وأبيك .. ؟

ح : الله يعلم ! ..

س : هل تمنيت موت دريه ؟! ..

ح : أبدا .. ولكنها قتلت كما أخبرتنى أنت ! ...

س : هل كنت تعرفين أن أم بنوره أرسلت صبيها وهيب النص ليقتل درية ؟!

حـ : مستحيل أعرف .. وأسكت ! ..

س : وهل كنت تعرفين أن نور شلاطه .. هو شقيق بالتبنى لدريه نور ؟! ..

حـ : لا .. وهل هو شقيقها حقا ؟!

س : بالتبنى . والدها تبناه .. ورباه معها .. و ..

صمتت تاتا .. لهثت أنفاسها .. اضطرب جهاز رسم القلب .. ولفت الطبيب نظر المحقق إلى خطورة حالتها .. فأسرع المحقق بتوجيه سؤاله الأخير :

س : هل لديك أقوال أخرى ؟! ..

حـ : نعم .. ولتسامحنى يا بهاء .. فأنا لم أقصد أن أخفى عنك شيئا .. كنت سأقول لك كل شيء .. لكن الرصاصات أصابتنى ..

قال المحقق :

ـ بالله عليك قولى .. ماذا .. ؟

نظرت تاتا إلى وجه بهاء .. وقالت فى خجل :

ـ مدير محطة التليفزيون الأهاية ..

ـ ماذا ؟! ..

ـ هددنى بإذاعة الفيلم الذى صوره بهاء لحادث اغتصابى .. إذا لم أذهب إليه ! ..

صاح بهاء فى جنون :

– مدير المحطة ؟! .. كيف ؟! .. متى ؟! ..

لمع النور الأحمر فى الكاميرا .. فاسرع بهاء إلى جهاز الاتصال .. وصاح :

– هل فعلت ذلك ؟! .. أجب ؟! ..

ضحك المدير ، وقال :

– أردت أن أجعلها تستثمر مواهبها .. وكنوزها .. عارضة أزياء مثلا ؟! .. ما رأيك يا بهاء .. هل أخطأت ؟! ..

دار بهاء حول نفسه فى ذهول .. ثم اتجه إلى تاتا .. ركع بجوار جسدها على الفراش .. أمسك وجهها بيديه المرتعشتين .. سألها :

– هل ضايقك هذا الحيوان ؟! .. هل فعل بك .. هل .. تكلمى ..

قالت تاتا .. لاهثة :

– عرض على الفيلم الذى صورته أنت لاغتصابى .. كان بشعا .. مخيفا .. رهيبا .. صرخت .. لا أدرى ماذا حدث .. دارت بى الدنيا .. وهو يحاصرنى بذراعيه .. وتهديده :

– لن أذيع الفضيحة على الناس إذا قبلت ..

سألها بهاء فى ذعر :

– قبلت ماذا ؟! ..

قالت تاتا .. فى إرهاق شديد :

— قال أن محطته تواجه منافسة شديدة من التليفزيون الحكومى .. والمحطة الأهلية الأخرى .. قال أنه يعانى من ديون للضرائب .. قال أن المساهمين معه ينصرفون وقال أنه على وشك الافلاس .. وقال أنه يريد ضجة مثيرة .. تحقق له كل ما يريد .. إعلانات .. أرباح .. فوز ساحق على منافسيه ..

سألها المحقق :

— وهل اتفق معك على حادث محاولة قتلك ؟! ..

قالت تاتا :

— لا .. اتفق معى على الظهور فى استعراض العراة فى حفل المهرجان..

سأل بهاء فى ذهول :

— عاريه ؟! ..

— نعم ! ..

— كلب .. خسيس ! ..

ظهر وجه مدير المحطة على الكاميرا .. موجها حديثه للمشاهدين ..

— نأسف آنساتى سيداتى سادتى لانقطاع الارسال بسبب عطل فنى .. سننتقل الآن إلى الحفل المثير .. بعيد ميلاد مدينتنا الحبيبة .. وسنواليكم بما يستجد فى التحقيق .. عندما يتم إصلاح العطل الفنى والآن إليكم .. استعراض الألعاب النارية الملونة .. تضىء سماء طيبة الوليدة .. الحبيبة .. و .. عيد ميلاد مثير ولذيذ لكم جميعا .. مع مشروبات شركة .. ومصانع .. و ..

***

قال المحقق :

– هل وافقت على الاشتراك فى استعراض العراة ؟!

قالت تاتا :

– أنت لم تر الصور البشعة للاعتداء على .. شىء لا يوصف .. لا يحتمل .. كلمة العار .. لا تعبر عن شعورى .. وعن الإهانة التى سحقتنى ..

سألها بهاء : مدير المحطة ثعلب .. فهل لديك أى دليل ؟!

قالت تاتا :

– لديه هو .. فيلم صوره لى .. داخل منزله .. وفى حديقته .. وفى حمام السباحة .. و ..

– ... ؟!

– ولدى صورة من العقد الذى وقعــه معى .. للظهور فى حفلاته الاستعراضية .. وعرض الأزياء .. وبطولة مسلسلات وأفلام و ...

أحنى بهاء رأسه فى حزن رهيب .. عجز عن الكلام .. كاد تنفسه يتوقف ..

جمع المحقق أوراقه .. وهو يقول :

– قبل أن أذهب إلى مدير المحطة لاستكمال التحقيق .. أود أن أعرف :

هل عرف أحد بهذا الاتفاق بينك وبين مدير المحطة ؟!

– لا ..

ـ حتى والدك ؟

ـ لم أقل لأحد ..

ـ إذن .. من الذى حاول قتلك .. ولماذا ؟! ..

نظر المحقق إلى بهاء .. فقال له :

ـ على الانسان الصادق مع نفسه ، أن يتوقف فورا عن أى كلام .. ليفكر .. فى هذه القضية : إذا كان الانسان يريد أن يحقق وجوده .. بشراهة .. وأنانية .. فالى أى مدى يصل أذاه ؟ .. وهل صحيح أن مثل هذا الانسان الجامح .. لا جناح عليه إذا ما حقق وجوده ورغباته الشخصية من خلال أى عمل أهوج ؟ .. ولو من خلال تمرد محدود .. أو حادث قذر .. ؟! .. صدق من قال أن من يبدأ حياته بالشراهة ، يواكب الضياع .. ثم ينتهى إلى العدم ! ..

سأله المحقق :

ـ هل لديك أقوال أخرى يا بهاء .. ؟

قال فى حزن :

ـ نعم .. لدى أقوال أخرى ! ..

فعاد المحقق يستعد لسماع أقواله .. وأمر مساعده بأن يسجل كل ما سيقال ! ..

.. حاصره المحقق بالأسئلة . . لكنه لم يجب . . لم يتكلم . . انشغل بسؤاله هو . . هل مدير المحطة دبر الجريمة ؟ . . فجأة تذكر ما حدث بينهما . .

— لم أكن أعرف شيئاً عن هذا الحى الشعبى . . . صحيح أنا ولدت فى أحد جحوره . . أقصد أحد بيوته . . فى غرفة رطبة . . مزدحمة بالرطوبة والروائح الكريهة . . ولعبت فى أزقته الضيقة المسدودة غالبا .. وامتلأ صدرى برائحة المعسل المحترق مع المخدرات.. ورأيت أبى يذيب الأفيون فى أكواب الشاى الثقيلة السوداء . . أو يستحلبها بلسانه . . ثم تخورقواه ويصبح عاجزا عن ضرب أمى . . وإسالة دمائها . . ويخيل إلى الآن . . أن أمى كانت تستدين وتتاجر فى أشياء غريبة ومريبة لتوفر لأبى ثمن المخدر لكى لا يقوى على ضربها أو ضربنا أنا وإخوتى الصغار . .

صمت مدير المحطة . . قليلا . . تأمل ملابسه الفاخرة . . وزراير بدلته وقميصه . . وكلها من ذهب . . ومبسم سيجارته وهو من العاج المطعم بالذهب أيضاً .. ووجهه السمين اللامع .. وجسمه الضخم الممتلىء بالصحة والشراهة . . وعاد يقول :

—كان اسمى وقتذاك . . الواد دحروج . . تصور . . شيء سخيف

طبعاً . . لكنه مسل جداً . . المهم . . كان لابد أن أتمرد على هذه الظروف اللا إنسانية . . لقد تشاجرت مع أبى . . لأنه صار منهم . . من هذه « الزبالة » . . هه ؟ ! . . مالك يا بهاء صدمت ؟ ! . .

— لأنهم أولا وأخيراً . . بشر . . وإن كانوا تعساء ! . .

سخر مدير المحطة . . وقال :

— خذها منى حكمة يا بهاء . . أنا شخصياً . . استعملت مشاعرك الحساسة هذه أحياناً . . وصدمت . . إنهم جرابيع . . وأنا ولدت بينهم رغم أنفى . تصور أن أبى كان يتجرع عصير الأفيون على الريق . . على لحم بطنه ؟ . . هل تصدق أن أهل هذا الحى القذر . . كانوا يدعون الشهامة والنخوة . . بينما نحن الصغار وأمهاتنا جياع عرايا !

قال بهاء فى حدة :

— بل فيهم شهامة حقيقية . . لكن تعاستهم سحقت إحساسهم بالآدمية ! . .

مرة أخرى سخر منه مدير المحطة ، وملأ كأسه . . وملأ كأس بهاء . . وقال :

— كنت مثلك . . مهووساً بالكلمات الجوفاء هذه . . لكن . . ظننت أولا أنهم يدمنون السموم لكى ينسوا .. لكن .. ينسون ماذا ؟! الفقر ؟ .. هم الذين كفوا عن ممارسة أعمالهم المربحة فى التجارة والوظائف . ينسون الجوع ؟ هم الذين يحرموننا أنا وإخوتى من اللحوم والسمك ويشترون الأفيون وغيره من المخدرات السامة لأبدانهم . هم الذين ولدونا لنشاركهم الدوران فى هذه الطاحونة الرهيبة . . هه . . كنا ننام أجسادنا

متلاصقة . . نتدافع بتوحش لنحصل على مكان ننام فيه تحت السرير . . فوق الحصيرة الممزقة . حتى لا تلسعنا رطوبة الأرض الطينية رغم ما بها من بلاط مهشم . كنا نتلاصق . . نتلاصق فى ليالى الشتاء الباردة . . و . . تصور يا بهاء .. إذا تلاصق المراهقون والمراهقات وهم جوعى . . و . . فضيحة . . وبيتنا . . كان واحدا من آلاف البيوت المخيفة المرعوبة فى شارع طويل وأزقة مسدودة ..

وقال بهاء فى أسى :

— أحس بأنك عانيت كثيراً . . لكن لا يصح أن نظلمهم . .

— بل تشاجرت معهم . . جاءوا ليصلحوا بينى وبين أبى . . تحدثوا بشهامة ورجولة . . أجبرونى أن أقبل رأس أبى . . لكن . . الشاى الأسود المخلوط بالأفيون كان على المنضدة أمام أبى ..كوباً وراء كوب.. وأمى تصر على تخديره حتى لا يذبحنى كما هدد . . ثم . . أعطتنى ما معها من قروش . . وهربتنى من الحارة إلى المدينة .. دفعتنى بعنف وغضب وخوف وهى تتلفت حولها . . وتركتنى على شريط الترماى . . وهى تقول فى ذعر رهيب :

— اذهب يا دحروج . . ابحث لك عن مصيبة أخف من مصيبتنا . . ولا ترجع إلينا إلا إذا أصبحت قادراً على حماية روحك من الذبح . . اذهب ! . . .

صمت مدير المحطة قليلا . . شرب كأسه ، أكل نصف حمامة . . قال ساخراً :

– ما زال صوت أمي يرن في أذني . كانت شهمة . . وعظيمة . . رحمها الله ! . .

– ماتت ؟! . .

– ذبحها أبي عندما عرف بأنها هربتني منه ! . .

نفخ بهاء يوسف في حزن وضيق ، نهض إلى النافذة .. فتحها .. ملأ صدره بالهواء القادم من أطراف الصحراء محملا ببرودة البحار والمحيطات البعيدة . .

قال :

– وكيف صرت إلى ما صرت إليه الآن ؟ ! ..

كان مدير المحطة يقف خلفه مباشرة . . سمع سؤاله ..

.. أحرج بهاء . . اعتذر . . لكن المدير قال :

– إطلاقاً . . من حقك . . وأنت تعد فيلما تسجيليا عن محطتي الأهلية الناجحة .. هذه – أن تعرف كل شيء عن كفاحي و طريق الشوك والعذاب الذي سرت فيه إلى أن صرت إلى ما أنا عليه الآن .. لكن لأنني – كما تعرف – مرتبط بمواعيد هامة مع بعض أصحاب ومديري الشركات والمصانع ، للاتفاق على حملات إعلانية جديدة بمناسبة قرب العيد الأول لميلاد بلدتنا هذه . . فاسمح لي أن أملي عليك رؤوس موضوعات . أقصد عناوين لمحطات ومراحل قصة كفاحي العظيمة . : وهي :. هه :: اكتب أولا . . أو . . سجلها صوت وصورة . . أدر الكاميرات الملونة . . وسجل للتاريخ وللأجيال قصة حياتي . . العناوين كالتالي :

أولا : مرحلة صعلكة .: لاستكشاف الطريق .

ثانياً : العمل كومبارس .: عند رجسيير يورد الفتوات لأفلام السينما .: طبعاً هذا كان قبل وصول التليفزيون إلى دولتنا كلها . .

ثالثاً : ظهور مواهبي الأصيلة فى عملى كمساعد مصور . : ومساعد مخرج . . ثم صديق لكل الفنانات . .

رابعاً : رحلة العمر كله . بعثة إلى الخارج . . والعمل فى أشهر الاستديوهات هناك ..

خامساً : العودة — بكل خبراتى ومواهبى ورأسمالى . : لخدمة بلدتنا هذه . . وإنشاء هذه المحطة الأهلية مقابل التعهد كتابة للجهات المختصة بالحفاظ على قيم المجتمع والعمل على تطويره و . : .

نظر المدير إلى بهاء يوسف . . وقال :

— أرجوك . . ذكرنى بهذه العناوين فى التسجيل القادم لأحكى كل شىء للتاريخ وللأجيال القادمة . . ولا تنس أن تذكرنى بقصص الحب والغرام . . « وضحك متباهيا » : . إنها كلها ساخنة ومثيرة للخيال .. وتستحق أن أرويها . . ثم . . فكر معى فى كيفية تحويلها إلى أفلام ومسلسلات . . فهى أروع . . على الأقل . : من مجنون ليلى . : وروميو وجولييت وعنتر وعبلة . . وسترى بنفسك كم كانت قصصا مثيرة ورهيبة أيضاً . . والآن : : انتهى التسجيل المؤقت . .

غادر مدير المحطة مكانه..واقترب من بهاء خلف الكاميرا .. وهمس له :

— على فكره . . تاتا جميلة جدا . . ومثيره جدا . . جدا . . دعنى أساعدها . . سأجعلها أشهر نجمة استعراض فى التاريخ الفنى كله .. دعها لى . : وسترى . .

ذهل بهاء يوسف .. قال :

— لكن .. كيف عرفت ؟! ..

ضحك مدير المحطة .. وقال :

— كان يجب أن تذيع الشرائط والأفلام التي سجلت عليها حادث اغتصابها.. إنها مثيرة ..

— لكنني أخذت الأفلام بعلمك .. واحتفظت بها في بيتي ..

ضحك المدير وقال :

— لكن النجاتيف ما زال في معاملي .. هي إنسانة غير عادية .. فدعها لي .. وسأجعل منها ضربة العصر كله .. ثم .. أعدك بأن أقيم لك ولها حفلا فريدا لزفافكما.. سنتحدث في هذا فيما بعد، لكن المهم الآن .. أرسل مجموعة من فاتنات المحطة إلى الملهى الخاص .. ملهى بنوره .. ه .. لابد أن أنقذ المحطة .. إن المعلنين ينصرفون عني واحدا بعد واحد .. ومعنى هذا إفلاسنا.. ونهايتنا .. وأنا لن أسمح لأي كائن حي أن يعيدني ذليلا حقيراً إلى ذلك الحي الحقير .. وذلك البيت الكئيب المزدحم بأجساد الجياع الفقراء .. لن أعود أبدا إلى أبي وأكواب الأفيون الأسود .. أتفهم . اسمع يا بهاء .. دع تاتا لي.. سأجعلها كنزا جديدا مثيرا .. إن مواهبها مثيرة جدا وستروج لي حملات الإعلانات .. ستدر علينا ذهبا .. ما رأيك .. سأجعلك شريكا لي في هذه المحطة .. فهل تساهم معي برأسمالك ؟

— لا أملك غير مرتبي الضئيل ..

— لكنك تملك قلب تاتا .. ه .. أفهمت يا غبي ..

وضحك المدير بشراهة .. واندفع خارجا وهو يصيح :

— أين مندوبات الإعلانات .. أين الفاتنات .. أين ؟! ...

***

قال بهاء يوسف فى ضيق :

– إننى أيها المحقق .. فى حاجة إلى معجزة .. لكى أقتل هذا الوحش .. وفى حاجة إلى معجزة حتى لا أقتله .. فقد داس فوق أنا وتاتا بحذائه .. وخدعنا .. وباعنا إلى المشاهدين .. باعنا ..

و ..

قبل أن يجيب المحقق .. لمع النور الأحمر فى الكاميرا .. وظهر وجه المدير ، وزعق صوته ..

– قبل كل شىء .. أنت ومحققك هذا .. فى حاجة إلى معجزة الشجرة الخضراء وعاشقها المخبول .. لكى تجرؤا على مواجهتى .. هه ! ..

وضحك المدير باستهتار .. وأضاف :

– إننى أدعوكما لمتابعة عرضنا المثير هذا .. تمتعا معنا بفقرات هذا المهرجان .. إن مدينتنا لا تحتفل فقط بعيد ميلادها العظيم .. وإنما هو مهرجان خاص لكل الذين حققوا النجاح والشهرة والمجد على أرضنا هذه .. إنه مهرجان لمحطتى وكفاحى أنا أيضا .. اسمحوا لى أن أدعوكم جميعاً لشرب نخب خاص .. فى صحتى .. فأنا أجعل حياتكم أكثر سعادة .. هيا إذن .. لنرقص تحت وهج هذه الصواريخ تحت رعاية مصانع .. وشركات و . . . . .

سالت دموع بهاء .. قهرا .. وهو يحترق كمدا .. وقال فى عصبية :

– ودمدم عليه الله .. ودمدم عليه الله ..

سأله المحقق ، وهو يجمع أوراقه :

– هل لديك أقوال أخرى ؟ ..

كاد بهاء يلعن المحقق . . كاد يمزق أوراقه . . وثيابه . . ويخنقه .. لكنه توقف عندما سمع المحقق يقول لرجال الشرطة :

– إليكم إذن كتابى بتفتيش محطة التليفزيون الأهلية . . وبيت مديرها . . وتحريز كل المستندات والوثائق . . وإحضاره إلى التحقيق . .

عندئذ هدأ بهاء قليلا . . وقال :

– نعم . . لدى أقوال أخرى . . .

. . عندئذ لمع النور الأحمر مرة أخرى فى الكاميرا . .

وظهر وجه المدير وارتفع صوته قائلا يتحدى :

– يا عزيزى المحقق . . لا داعى لإرهاق رجالك .. فكل المستندات . . احترقت . . انظر معى . . إلى وهج المهرجان . . إنه مثير .. حقا مثير . . مثير جدا لأنه تحت رعاية شركة . . ومصانع . . و . . . .

صرخت تاتا . . فى مرارة وعنف صرخت . . صرخت . . فتمزقت جراحها .. وسالت دماؤها .. ففزع بهاء والمحقق والطبيب والممرضة وساد الارتباك .. فحطم بهاء الكاميرا فى غضب ، واستدار إلى المحقق . . وقال :

– دعنا نعطى بعض الدم لتاتا .. ثم .. سأروى لك بعد ذلك .. ما عندى من . . أقوال أخرى ! . .

وانهار فاقدا وعيه ! . .

ملأت الاستعراضات المثيرة .. ذات الألوان الزاهية .. والصراخ والغناء واللهاث .. شاشة التليفزيون .. أمام تاتا وبهاء والمحقق ومساعده .. ومن نوافذ غرفة العمليات .. شاهدوا الصواريخ النارية .. تنفجر فى السماء .. فتحيل الظلام نهاراً مبهراً ورأوا الطائرات الملونة تكتب اسم مدينة طيبة الجديدة .. فى صفحة السماء .. وسط النجوم اللامعة .. ووجه مدير المحطة يضحك فى زهو .. وهو يذيع بنفسه فقرات المهرجان المزدحم بالراقصات والراقصين .. والفتيان الذين يرتدون ثيابا ملونة ويصارعون فتيات شبه عاريات ... .

قال المحقق :

— انتظارى يا بهاء ! ..

قال بهاء :

— لدى اعتراف .. لقد تجمعت كل أمنيات عمرى .. فى أمنية .. وحيدة ..

— .. وهى ؟ ! ..

— أن أقتل بيدى كل الذين أهانوا تاتا .. وزرعوا الحزن فى جسدها .. وشوهوا روحها .. ونهشوا لحمها علنا .. وسراً ..

ـ لماذا ؟ ! . .

ـ لأن حبى لها يكفى لتبرير كل ما كنت أتمنى أن أفعله بنفسى . . حبى لها يبرر أن أقتل بيدى ، كل الوحوش الذين أحرقوا أحلامها وأحلامى . .

ـ ومن هم ضحاياك ؟ !

ـ كل الذين خانوا تاتا . .

ـ من ؟ ! . .

ـ والدها رضوان رضوان . . خانها عندما ترك أمها . . زوجته . . تخونه مع الغريب نوح . . وتهرب معه علنا . . دون أن تعبأ بمشاعر ابنتها تاتا . .

ـ ومن ؟ ! . .

ـ والغريب نوح . . فتح أبواب جهنم على تاتا . . وأذاقها طعم العار الأول . . فجعلها تشعر بالحزن وتعانى من الفضيحة . .

ـ ومن ؟ ! . .

ـ ودرية نور . . صديقة الطفولة . . خانتها . . وشت بها . . ودلت الأم المتهورة وصديقها على عنوان تاتا . . فمزقت الأمان الذى وجدته فى المدينة الجديدة . . رغم الغربة والعزلة . .

ـ ومن ؟ ! . .

ـ ونور شلاطة . . الذى نهشها علنا . . وحرمها وحرمنى من

متعة العمر للعروس والعريس فى ليلة الزفاف المنتظرة . .

– ومن ؟ ! . .

– أعوان نور شلاطة . . الثلاثة . . الذين شلوا يدى تاتا وقدمها وطرحوها على أرض الشارع . . ليعتدى عليها نورقرن الغزال . . أمام سكان الشارع الذين جعلهم الرعب أشبه بتماثيل الشمع ! . .

– ومن ؟ ! . .

– ومدير المحطة . . لقد خدعنى . . وخدع المدينة كلها . .

وأذل تاتا بلا رحمة . . لقد باعها للمشاهدين فى أغرب حادث . . وباعنا كلنا بشراهة . . إنه وباء يجب تطهير المدينة منه ومن أمثاله . .

وسأله المحقق :

– لم تقل لى .. هل نفذت خططك لقتل أحد خصومك ؟ ! ..

– لسوء الحظ .. لم أفعل شيئاً . . ولم أداو جرحا واحداً من جراح تاتا . . لم أقتل ولو واحدا من هؤلاء المتوحشين . . لسوء الحظ ! ..

سأله المحقق :

– منذ متى وأنت تعرف تاتا ؟ ! .

– منذ طفولتنا . . منذ لعبنا معا تحت شجرة التوت . . وقذفنا سباطات البلح بالطوب الذى لم يصل أبداً إلى أعالى النخيل . . ومنذ تسابقنا فى العوم فى ترعة البحر الصغير . . منذ جلسنا إلى جوار بعض فى دكة واحدة فى أولى ابتدائى . . وتعلمنا معاً كيف نكتب حرف الألف مثل

كوز الذرة : : والباء مثل طبق فارغ وتحته طوبة : : والتاء : : مثل الطبق بـــه بيضتان : : منـــذ تخاصمنا بسبب الغيرة عندما تركتنى ولعبت مع زميلتها درية : وعندما لعبت نـــط الحبل مع تلميذ صغير هو الغريب نوح : : ومنذ تصالحنا يوم مولد النبى . : واشتريت لها مشط حلاوة حمصية فقسمته نصفين أعطتنى أحدهما : . وأسرعت إلى سطح دارنا وسرقت عشر بيضات – من وراء أمى – واشتريت بها عروسة المولد لتاتا . : ومنذ جرينا على السطح . . وقفزنا من دارنا لدارهم فوق أكوام القش . : وسقطنا فوق بعض واختلط عرقنا ولهاثنا وسكتنا محرجين . . و .. منذ افترقنا هى إلى « الريف » مع أبيها.. وأنا إلى الجامعة مع درية . . والغريب نوح سجن . . ثم عاد يطارد أم تاتا .. وجعلها تشترى له اللورى . . ومنذ علمت بخيانة أمها وهروبها مع نوح . . ومنذ استأجرت لها ولوالدها مسكنهم فى نفس البيت الذى أسكن به حاليا فى شارع مكة . . ومنذ أقنعتها بالهجرة إلى طيبة الجديدة لتجرب مع والدها حياة جديدة . . ومنذ اتفقنا من يومين فقط على أن نتزوج . . وأن نحرق كل الأفلام التى سجلت فيها الاعتداء عليها و . . . : ومنذ حاولوا قتلها تحت نافذتى . . ومنذ الآن وبعد الآن ..

سأل المحقق :

– هل لديك أقوال أخرى ؟

قال بهاء : نعم . : إننا نعانى المرارة فى هذه المدينة : : لكننا نصر على الاحتفاظ بعلاقاتنا معها . . ومع سكانها الجدد : : رغم كل شىء.:

واستدار بهاء يوسف : . إلى الكاميرا : : المظلمة الصامتة ..قال :

ــ والآن.. أحبائى المشاهدين . . مازال الإرسال مقطوعا . . وإلى أن يتم تطهير محطتنا الأهلية . . وإلى أن يتم القصاص من مديرها الذى أصابه السعار ..و ...دعونى أبوح لكم بآخر اعترافاتى الشخصية جداً ..

ــ إننى ــ يا أحبائى . . واقع الآن تحت وطأة العار . . والحب . . نعم أنا أحبها رغم كل شىء . . وسأتوقف عن الكلام فوراً . . بشرط أن تضمنوا لى نجاتها من هذا الغدر . . و . . .

صرخ بهاء . . فى رعب . . عندما داهمته شهقات تاتا .. و . . .. ماتت تاتا .. بينما الألعاب النارية . . والبالونات الملونة . . . والغناء والرقص واللهاث والصراخ واللهو.. والفجور..والآهات، تتصاعد فى أرجاء المدينة الجديدة . . وتهزها فى جنون رهيب ! ..

الفصل الأخير

. . ضرب بهاء رأسه فى الجدار عدة مرات حتى سالت دماؤه . . أخذ يعوى . . وتحول الإنسان فى أعماقه إلى ذئب جريح . . واجتاحه العار . . اكتشف أنه شارك فى المأساة . . ظل مشغولا بذاته . . حتى هتك مدير المحطة عرض عقله . . تماما كما هتك عرض المدينة . . وكما هتك « قرن الغزال » عرض تاتا على قارعة الطريق . . وه . اهتز جسد بهاء . . تزلزل كيانه كله . . وحمل جسد تاتا الميتة . . وقفز بخطوات مجنونة . . وضع « تاتا » فى سيارة التليفزيون المزودة بأحدث أجهزة الإرسال . . اندفع بها عبر طرق وشوارع طيبة فى سرعة خاطفة . .

انخلع قلب « صاحب الشجرة » لسرعته . . استعاذ الشيخ راضى من الشيطان الرجيم عندما لمح وجهه . .

داهم بهاء بسيارته منصة الحفل . . حطم بعض الأجهزة . . أثار الفزع . . صرخت البنات والنساء والشبان والرجال العراة . . ودهست سيارة بهاء بعضهم . . هرب الآخرون أمامه . . وصل إلى رئيس المحطة . . ربطه فى سلك كهربائى . . وصاح فى هستيريا :

ـ الآن . . أحبائى أهل طيبة الجديدة . . الحبيبة . . أقدم لكم . . الحلقة الأولى من برنامجى التليفزيونى الجديد . . المثير . . « تليطيبة » . . انتبهوا جيدا . . وشاهدوا الـ . . . .

لكن المحقق ومعه قوة من البوليس حاصرت بهاء بالمسدسات والمدافع الرشاشة . . فاندفع بهاء بسيارته ، وفى مؤخرتها يتدلى السلك الكهربائى الغليظ . . الملفوف بعناية شديدة حول عنق رئيس المحطة . . وحاول المحقق . . وبعض رجال البوليس . . إيقاف السيارة . . إصابه بهاء . . قتله . . إنقاذ رئيس المحطة . .

. . لكن المحاولات والطلقات ذهبت كلها هباء . . وزادت من توهج الإثارة . . فاشتد صخب أهل طيبة . . وأقبلوا على الشراب والعربدة بنشاط جنونى . . وفرقعت الضحكات . . وانفجر التهليل . . وطائرات الهيليكوبتر الملونة تقذف سماء المدينة بملايين البالونات والأزهار . . وزجاجات الخمور . . وعلب المثلجات و . . أخذت الصواريخ الملونة تكتب بخطوط كالسحاب . . كلمات : « حياة سعيدة . . لأهل طيبة الجديدة » . .

***

فى الصحراء المظلمة . . إلا من ظلال الاحتفال الرهيب . . كان بهاء يوسف يدفن جسد حبيبته تاتا الفاتنة . . قبلها القبلة الأخيرة ، وأهال عليها الرمال . . ثم . . وضع مدير المحطة المشنوق فى كهف للذئاب . . وذهب إلى صاحب الشجرة . . وعلى ورقة خضراء ضخمة . . كتب اسم تاتا وتاريخ موتها بدمائه . . وأسرع إلى « المحطة » . . واستولى على جميع الوثائق والمستندات . . وأعلن نفسه رئيسا للمحطة . . وقرر تغيير اسمها . . من : « محطة تليفزيون طيبة الأهلية » . . إلى . . محطة : « تليطيبة الأهلية » . . وكتب الاسم الجديد بخط يده . . بقلم فلومستر أحمر . . وضع تحته خطين . . وقف يتأمله . . ثم علقه فوق الاسم القديم . . ثم . . .

. . على حجرة بهاء يوسف . . توافد جميع العاملات والعاملين و . .

أعلنوا التهنئة والطاعة والولاء . . وقرر بهاء زيادة مرتباتهم جميعاً بنسبة ١ ٪ . . من حصيلة الإعلانات . . وبأثر رجعى . . منذ إنشاء المحطة . . و . .

. . جاءت — أخيرا — المذيعة . . « حسناء » . . وخلعت ثياب الحداد على زوجها المشنوق . . وظلت بثيابها الداخلية المثيرة . . وشربت مع أسرة المحطة عدة كؤوس نخب المدير الجديد . . المحبوب بهاء . . و . .

فى غرفتها الحمراء . . بجوار استديو الهواء . . تعرت حسناء تماما : . وبكت كثيرا فى أحضان بهاء المحبوب . . تحدثت كثيراً بصوتها الدافىء العطشان ، وبدموعها . . وبجسدها . . عن اضطرارها للزواج من صاحب المحطة السابق . . ويستغل جمالها المبهر فى سهرات خاصة مع أعضاء مجلس المدينة . . ومندوب العاصمة و ...

و . . أعطت : . حسناء . . مبايعتها الكاملة لبهاء الذى أخذ يترنح . . وحسناء تبوح له بلوعة الحب ونار الشوق . . والامتنان لرجولته . . و . . ظلت تغنى وترقص وتتأوه وتتلوى بين ذراعيه . . حتى طلعت الشمس على طيبة الجديدة . . فأخذت حسناء . . محبوبها . . بهاء يوسف . . إلى حديقة المحطة . . ورقصت معه بين الأزهار والأشجار وعناقيد العنب و . . كل ألوان الفاكهة . . وصاحت بأنوثة طاغية :

— « بهاء المخلص . . بهاء المنقذ . . أعبده ! . . »

و . . بكت كثيرا وهى تعترف له : « أنا خائفة : . ووجودى معك يحمينى ! . . »

. . و . . كان أهل المدينة السعيدة ، يترنحون سكرا : . وإرهاقا . . وهم فى طريقهم إلى غرف النوم المزودة بأحدث أنواع وألوان الإثارة . . والحبوب المنومة . . والمنشطة . . والـ . . . . . .

: . وفى برنامجه المسائى : : كان بهاء المحبوب : . وحسناء : . يتبادلان الهمسات . . والقبلات : : وقراءة نشرة الأخبار : . وكان أبرز الأخبار المحلية ، خبرا عن :. تبرع مجموعة مصانع المتفجرات العصرية . : ومصانع الثياب الحريمى الداخلية . : ومصانع الخمور : : ومزارع الدجاج والمواشى والبيض والمخدرات : . ومصانع النجوم اللامعة لمطاوى قرن الغزال . . وشركات المقاولات . . تبرعها جميعا بنفقات وتكاليف بناء قبر بـ . . بحديقة أزهار وفاكهة ، وبناء تمثال لـ . . تاتا الفاتنة . . تقديرا منهم لكل ما بذلته . . الشهيدة الأولى للمدينة : : من جهد خرافى يفوق طاقة البشر ، مما أدى إلى زيادة هائلة فى مبيعات وأرباح هذه المصانع والشركات . . طوال محنتها وهى تتعرض للقتل . . وتعانى آلام العلاج . . وعذاب الموت و . . قال بهاء فى حزن : كانت تاتا . . حلم عمرى . : لكنها انتهت للأسف ! . .

. . وأكملت حسناء قراءة الخبر : : قالت :

– وقدمت المصانع والشركات : : عقودا إعلانية جديدة : . بأسعار أعلى . . لمحطة « تليطيبية » تأييدا للمدير الجديد . . والنجم المحبوب : بهاء يوسف و . . اتفقت مع مجلس المدينة وحكومة العاصمة على تكريم بهاء . . ومنحه وشاح طيبة الأكبر و . :

. . كان الخبر المحلى التالى فى الأهمية ، هو : أن مدير إدارة التحقيقات القانونية فى مجلس المدينة قدم استقالته : : احتجاجاً على منح مجلس المدينة « الحصانة » لبهاء يوسف ! . :

. . وكان النبأ المحلى الأقل أهمية هو : . استقالة قاضى المدينة : :وعودته إلى العاصمة و . . أن الاستقالة مسببة : .

قرأ بهاء . . وحسناء : : بالتبادل : . استقالة قاضى المدينة : : وتمهلا طويلا أمام قول القاضى :

— . . وعندما قبلت العمل قاضيا لمدينة طيبة الجديدة . كانت أحلامى كإنسان . . وكمواطن . . وكرجل قانون . . تجعلنى أظن . . أو . . أتوقع . . أنها ستكون — أو يمكن أن تكون . . مثل مدينة « يوتوبيا » . . التى قدم فيها « توماس مور » قصة شعب سعيد . . بلا حروب تفتك به . . وبغير أملاك تشعل نيران الجشع فى النفوس . . أو مثل مدينة « إرون » التى حلم بها « صموئيل بتلر » . . وصور فيها شعبا صحيحا معافى من كل ما ينغص عليه حياته . . . أو . . . « الأرض التى لا وجود لها » . . لوليم مورس . . أو « يوتوبيا حديثة » لـ . . هـ . ج . ويلز . . الذى تخيل حياة خرافية لشعب مثالى . . . أو مثل « جمهورية أفلاطون » أو « المدينة الفاضلة » للفارابى . . لكن . .

قالت حسناء : كلام سخيف جدا .. لكننا نقرؤه عليكم لأننا فى بلدتنا وفى محطتنا نحترم الحرية ! . .

.. وبدأ صوت بهاء يوسف . . يبطىء .. وهو يقرأ بقية استقالة قاضى المدينة . . بعناية خاصة . .

« . . لكنى — أى القاضى . . هكذا أوضحت حسناء بميوعة — وأكمل بهاء : « .. لكنى وجدت الصفات التى ألصقها الفارابى .. للمدينة الجاهلة .. وأهلها . . أقل بكثير مما رأيته بنفسى فى « طيبة الجديدة » إنها أخطر من « المدينة البدالة » التى يتعاون أهلها على بلوغ الثروة لذاتها . . وأسوأ من « مدينة الخسة والشقوة » التى يقتصر أهلها على التمتع باللذة المحسوسة .. وأقذر من « مدينة النذالة » التى يتكالب سكانها على جمع الثروات فوق ما يحتاجون إليه . . وأن . . .

و . . هنا قالت حسناء . . برقاعة : أى أن قاضى المدينة الذى أصر على استقالته المسببة . . يرى أن مدينتنا السعيدة . . هذه . . مدينة ضالة . .

فها هو يقول بالحرف الواحد : ليت الفارابى . . جاء من زمنه :: بين عامى ٢٥٩ هـ – ٣٣٩ هـ . . ليعيش فى طيبة الجديدة . .. إذن لوجد أنها أسوأ وأقذر من « المدينة الجاهلة » التى قال عنها . . أنها هى التى لم يعرف أهلها السعادة ولم تخطر ببالهم . . وكل اهتمام أهلها هو سلامة أبدانهم . . وحصولهم على المال . : وممارسة اللذات بشهوة شيطانية . . و . . يؤكد أن لغة مطاوى قرن الغزال والقتلة . . تسيطر على فكر وثقافة وإعلام وسلوك أهل مدينة طيبة : : و : : .

. . توقفت حسناء . . وسألت بهاء فى شهقة إغراء :

– من يكون هذا الـ : : : : « فارابى » . . يا محبوبى ؟ ! . .

ضحك بهاء : . وقال :

– سؤال ذكى : : لكن : : ما رأيك : . سأخصص برنامجا جديدا فى « تليطيبة الأهلية » : : لتقديم معلومات موجزة عن أعلام الفكر والفلاسفة فى الشرق والغرب : : و : : :

: . رن التليفون : : رفع بهاء السماعة . : جاءه صوت وصورة مدير عام مصانع المتفجرات . . وعلى تليفون آخر جاءت صورة وصوت مدير شركات الخمور : : و . . و : . و . . . صاح جميع المعلنين :

– « نرفض برنامجك المقترح عن المفكرين والفلاسفة . . و . . أن ندفع مليما واحدافى الإعلانات إلا إذا اعتذرت فورا عن اقتراحك السخيف ، والمخالف لروح مدينتنا و . . .

ضحك بهاء . . بعنف . . ثم بمودة . . وداعب شعر حسناء . . وقال لهم فى مرح :

ـــ إنها نكتة . . مجرد دعابة يا أحبائى المعلنين . . لكن انزعاجكم وقلقكم دليل على ارتفاع مفاجىء فى ضغط الدم . . وهذه فرصة لتجربوا دواء الـ . . ، وهو من إنتاج مصانع طيبة للـ . . . . ومعه جربوا شراب الـ . . . وأحدث أنواع الخمور المعتقة الـ . . . و . . . و . . . ملهى العراة . . يرحب بكم دائما فى آخر الليل . . و . . . . تليطيبة تريدكم سعداء على الدوام . . و

صاح بهاء . . وحسناء . . فى إثارة :

ـ أحبائى . . أهل طيبة الجديدة . . جاءنا الآن نبأ عاجل . . وهام جدا . . جدا . . جدا . . صدر قرار بنفى قاضى المدينة . . خارج الديار . . و . . صدر قرار عاجل بنقل الشيخ راضى واعظ المسجد . . إلى الواحات و . . صدر قرار ثالث بمنح « تاتا الفاتنة » وشاح الفضيلة و . . . . و . . . .

قالت حسناء فى شهوة مجنونة :

و . . سيصل بعد قليل مندوب رسمى ليعلق وشاح طيبة الأكبر على صدر حبيبى بهاء يوسف المحبوب .

و . . صرخت . . وأخذت بهاء إلى الغرفة الحمراء و . . ظهرت رقصة مجنونة على الشاشة ! . . .

١٩٧٩/١٢/٢٥

« تمت »

رقم الايداع ١٥٦٨ / ٨٣
الترقيم الدولى ٦ – ٠٢٣ – ١٧٢ – ٩٧٧

دار غريب للطباعة
١٢ شارع نوبار (لاظوغلى)
ص ٠ ب ٥٨ (الدواوين) تليفون : ٢٢٠٧٩